دار النحـ
روايات مصرية
Harlequin
سلسلة قصص و

روايات عبير

فيليبا روسكو تحتاج إلى مبلغ كبير من المال وبسرعة، لأن حياة والدها تعتمد على ذلك. رجل الأعمال الفرنسي والثري، الآن دي كورسي يحتاج إلى زوجة... لدواعي أعماله فقط.

لقد كان الآن مسروراً جداً، بإعطاء فيليبا المبلغ الذي تحتاج إليه، ولكنه طالبها بالمقابل بالزواج منه، وليس فقط زواجاً اسمياً. ولم تستطع فيليبا شيئاً إلا الرضوخ لشروطه.

ولكنها لم يدر في بالها، أنها ستقع تحت سحره. وهل تستطيع فيليبا منع نفسها من الوقوع في حبه، أو هل أصبح هذا الزواج خطوة متهورة...؟

www.rewity.com/vb

الفصل الأول

«لكن هذا العلاج جديد جداً! يقول الإختصاصي إنه سيكون ذا مفعول قوي على والدي... وربما يشفيه نهائياً. لكنه باهظ الثمن وموجود في أميركا فقط، وليس لدينا المال الكافي في الوقت الحاضر.»

أحنت فيليبا روسكو رأسها إلى الأمام، عيناها البندقيتان مثبتتان على وجه الزوجة السابقة لوالدها المتحفظ. «مونيكا، أنت ملاذي الوحيد. ساعدينا... أرجوك!»

«هذا مستحيل.» هزت الليدي أندرهاي رأسها على نحوٍ حاسم. «ما تطلبينه هو فوق قدرتي، لا أستطيع أن أطلب من لينوكس بعض المال لأقرضه لزوجي السابق.» توردت وجنتاها. «ولطالما كان... يغار من كيڤين.»

«لقد كانا شريكين في العمل.»

«لكن هذا كان في الماضي وعلى كل حال، لينوكس يرى أن المجلس كان كريماً جداً معه... هجرهم بتلك الطريقة الغريبة من أجل الرسم!» تجمدت شفتا مونيكا. «وهجرني أيضاً.»

أنت التي تركته! أرادت فيليبا أن تصرخ. أنت التي رفضت المجازفة بحياتك الإجتماعية من أجل أن يحقق والدي حلمه. ها أنت تعيشين في النعيم مرة ثانية.

لكنها لم تقل شيئاً. استطاعت أن تتذكر وجه والدها عبر

وردة قايين

السنوات الماضية، منهكاً وحزيناً، وصوته الأجش يخاطبها. «يجب ألا تلومي مونيكا ولا أن تكوني قاسية. إني أحاول ذلك. أحبتنا على طريقتها الخاصة، لكنها لا تستطيع العيش من دون مال. إنها بحاجة إليه كما الناس بحاجة إلى تنشق الهواء. ومن المحتمل أنها ستذهب حيث المال الوفير، وسيحسن لينوكس معاملتها.»

تأكدت فيليبا من ذلك وهي تجول بنظرها في غرفة الاستقبال الأنيقة. إن بيع أي من تلك الصور أو الأثريات القديمة سيمكنها من دفع علاج كيڤين روسكو.

«على كل حال، عرفت أن والدك قد نجح إلى حد بعيد في رسم هذه اللوحة الثمينة. ألا يستطيع رسم المزيد ليمول علاجه؟» نظرت مونيكا بتململ إلى ساعتها.

هزت فيليبا رأسها شاكرة لأن كيڤين لا يستطيع سماعها. «المرض، أو الفيروس الذي سببه، تملك عضلات جانبه الأيمن في البداية ثم يجد... صعوبة في استعمال يده اليمنى، لن يقدر على الرسم ثانية.»

عضت مونيكا شفتها السفلى المرجانية اللون بشدة. «لقد... فهمت. حسناً، الوضع مأساوي جداً ولكن بالطبع لو أنه بقي في الشركة لكانت شركة التأمين تكفلت بكل مصاريف العلاج.» هزت رأسها وأردفت: «إني آسفة، يا عزيزتي، لا أستطيع مساعدتك.»

لوت فيليبا يديها بأصابعها البيضاء في حضنها. «مونيكا، يجب أن أحصل على المال بطريقة أو بأخرى قبل فوات الأوان. يقول الاختصاصي إنه في حال فقد المزيد من بنيته العضلية...» توقفت عن الكلام، بدا صوتها ضعيفاً.

«سأفعل أي شيء... سأوافق على كل شروطك. سأرد لك القرض حتى لو استغرق ذلك بقية حياتي، ولكن علي أن أحصل عليه. إذا كنت قد اهتممت بوالدي يوماً، ساعديني على إيجاد حل.»

توترت وجنتا مونيكا مرة ثانية. «بالطبع اهتممت. لكن ما تطلبينه غير معقول الآن.» توقفت. «هل حاولت أن تتقدمي بطلب إلى إحدى مؤسسات التسليف؟»

«نعم، ولكن ليس في حوزتي أي ضمانة. لا أستطيع حتى أن أكفل فعالية العلاج أو أن والدي قادر على الرسم من جديد.»

«إني أشفق عليه. لم يتخذ أية تدابير تؤمن له مستقبله، قبل أن يتخلى عن مركزه بتلك الطريقة المجنونة.» قالت مونيكا باقتضاب.

«لم يفكر بأنه سيمرض يوماً.» احتجت فيليبا. «كان يتمتع بصحة جيدة حتى الشتاء الماضي... كان سعيداً جداً.» توقفت لأنها أحست بالذنب، لأن كلامها بدا غير مناسب إطلاقاً، ورأت في وجه مونيكا من خلال تقلص عضلاته أنها تشاركها الرأي.

«أخشى أن أطلب منك الرحيل.» قالت وهي تنهض عن الكرسي. «سيحضر لينوكس في أي لحظة، وأفضل ألا يراك هنا. سنقيم حفلة على شرف ـ رئيس شركة دي كورسي العالمية اليوم وعلي القيام ببعض الأعمال. إنني آسفة يا فيليبا، ليس لدي ما اقترحه.» ترددت ثانية. «قد يكون هناك علاج ممائل في هذا البلد وربما على حساب المنظمة العالمية للصحة.»

«كلا، هذا علاج جديد كما أخبرتك. في الواقع، ما زال في

www.rewity.com

المرحلة التجريبية.» قالت فيليبا بتوتر وهي تنهض بدورها: «إني آسفة لإزعاجك، لقد كنت أملي الأخير.»

كانت تهم بالخروج عندما فتح الباب ودخل منه لينوكس أندرهاي. تجمد في مكانه عندما رآها.

«فيليبا، أليس كذلك؟ كيف حالك؟» ابتسم لها بتهذيب، لكن من دون حماس، ثم رمق زوجته بنظرة ارتياب.

«عليها أن تذهب بسرعة.» قاطعته مونيكا، ووضعت ذراعها حول فيليبا. «سأرافقك إلى الخارج، يا عزيزتي.»

كانت شقتا مونيكا مطبقتين عندما وصلا إلى الرواق. «من المؤكد أنه سيتساءل عن سبب زيارتك.» قالت بغضب.

«لا أريد أن أبدو فظة، إني أشعر بمحنتك ولكنك تعقدين الأمور أحياناً.»

«ما كنت قد جئت إلي هنا لو لم أكن يائسة تماماً.» قالت فيليبا بهدوء. ناولت الليدي أندرهاي ورقة صغيرة. «هذا رقم الفندق الذي أنزل فيه. إذا فكرت بشيء... بطريقة تستطيع بها جمع بعض المال، يمكنك الإتصال بي خلال اليومين القادمين.»

أخذتها مونيك بنفور. «حسناً، ولكنني لا أعدك بشيء.»

الحياة غير عادلة، فكرت فيليبا بمرارة وهي في طريقها إلى الفندق. استبدلت مونيكا ببساطة بيتها السابق المترف ببيت آخر. إذا كان فجرها كيڤين، بعد خمس سنوات من الزواج، قد سبب لها حزناً فستجهد في إخفائه. ولكن من المحتمل أنها استطاعت أن تتقلب عليه لإحساسها بالإهانة. عندما كانت مونيكا تنال مرادها كانت ولا ألطف. وعندما تشعر بالخداع...

عبست فيليبا بسرية بقي كيڤين أرملاً لعدة سنوات فقد. دلل زوجته الثانية كثيراً وهي في المقابل وجدت متعةً بالغةً في ذلك. عندما أعلن في البداية أنه ينوي التخلي عن مركزه في الشركة، وعن ممتلكاته في لندن وفي غربي ساسكس، أخذت مونيكا الأمر كمزحة مزعجة ثم كانحراف مؤقت. وعندما أدركت جديته وعزمه الشديد غضبت كثيراً. ما تزال فيليبا ترتعد عندما تتذكر نوبات الغضب التي تحملتها كيڤين بصبر شديد.

على كل حال، استسلمت مونيكا تماماً لتسوية الطلاق السخية التي بدت تناسبها بشكل ملائم، ومن ثم للينوكس أندرهاي الذي أعجب بجمالها الارستقراطي.

حقق كيڤين كل ما تمناه في البداية. لقد حصل على سعر كبير لممتلكاته ولم يكن بحاجة لأحد بعكس ما تكهنت به مونيكا. إستمتع هو وفيليبا بعدة سنوات من السفر حول منطقتي الدوردوني والبروفانس الفرنسيتين بينما كان يعمل، بتميز كيڤين روسكو، كما قال أحد النقاد، بالقدرة على التعبير بلوحاته عن قوة الحرارة والظل التي تحدثها المناطق الجنوبية الفرنسية.

اعتقدا بأنهما سيعيشان في سعادة أبدية، فكرت فيليبا وهي تعض شفتها السفلى حتى سال منها الدم. ولم يدركا كم كان الوقت قصيراً.

لن أفكر بهذه الطريقة، أنبت نفسها بقسوة. سأحصل على المال بطريقة أو بأخرى وساعمل على أن يتلقى والدي العلاج في أميركا.

لكن كيف؟ تساءلت وهي تسند رأسها إلى نافذة القطار

وأخذت تفكر، بقي طرق قليلة لم تسلكها. لقد جربت كل الطرق التقليدية.

ربما علي أن أتخذ بعض الخطوات المتهورة.

يُقال ان فتيات الملاهي، يكسبن كثيراً من دون أن يدفعن ضرائب. أدارت رأسها قليلاً لترين انعكاسها في زجاج النافذة. المتفائلون بهوس فقط، سيقولون أن هؤلاء الناس يطلبون فتيات نحيفات ذوات صدور صغيرة، وشعر مستقيم وخبرة قليلة جداً.

سأواجه الواقع، فكرت فيليبا. ليس عندي خبرة على الإطلاق.

كانت شاكرة لأن والدها لا يعرف بما تعتزم القيام به، حتى ولو كان ذلك بشكل غير جدي. إنه اعتقد أنها تحاول بيع لوحته الأخيرة التي رسمها قبل أن يستفحل مرضه العضلي.

حتى تلك اللوحة كان ميؤوساً منها. تصرف صاحب المعرض معها بلطف وبتفهم، لكن اللوحة كانت دون مستوى أعمال كيفين روسكو. قد لا يشتريها أحد لأنها غير واقعية.

إنها بحاجة إلى معجزة، فكرت فيليبا.

تمددت على السرير في غرفتها الصغيرة والوحيدة. وفيما تحاول أن تقرأ قصة بوليسية اشترتها في المحطة، رن جرس الهاتف فجأة.

فكرت أنه قسم الاستقبال، يريد أن يسأل عن موعد رحيلها.

رفعت السماعة وإذا بصوت زوجة والدها السابقة الجاف يقول: «هل باستطاعتك الحضور الآن؟ هناك شيء مهم أود أن أناقشه معك.»

«هل يتعلق بالمال؟» وثب قلبها من مكانه. «هل وجدت حلاً؟»

«ربما.»

«ولكن هذا رائع! ما هو؟»

«لا أستطيع مناقشته على الهاتف.» استعادت مونيكا طبيعتها الباردة. «سوف نرى... إذا كان رائعاً.» توقفت قليلاً. قد يسهل الأمر إن جئت بمظهر أنيق.» أقفلت الخط.

أنيق! فكرت فيليبا بارتياك وهي تتذكر تفاصيل ثوبها الشفاف الذي أحضرته معها. معظم ثيابها لا تناسب متطلبات مونيكا الصارمة.

وأخيراً سوت الأمر ببنطال من الجينز وبقميص أبيض طويل الكمين. سرحت شعرها البني حتى اللمع ثم ثبتته وراء أذنيها بمشطين على شكل فراشة.

بكلمة واحدة أقلتها سيارة الأجرة إلى ساحة لاودن. وجدت مونيكا بمفردها واقفة قرب المدفأة الرخامية في غرفة الاستقبال، وفي يدها كأس من الشراب. استدارت في الوقت الذي ظهرت فيه فيليبا، ثم صرخت: «يا إلهي، قلت أنيقة وليس كطالبة فنون جميلة!»

«أنا كذلك بالفعل.» قالت وهي ترفع ذقنها بتحد: «على كل حال، هل ثيابي ملائمة لهذه الدرجة؟ هل سيعرض علي عمل في حقل الأزياء؟»

طبيس هناك ضمانة بأنه سيعرض عليك شيء.» قالت مونيكا بحدة: «عندما يراك سيغير رأيه، ومن يستطيع أن يلومه؟»

«هو؟» قطبت فيليبا جبينها. «من هو؟»

www.liswity.com/ib

«آلان دي كورسي، رئيس شركة دي كورسي العالمية. لديه عرض لك وعليك أن تستمعي إليه جيداً، إذا كنت فعلاً بحاجة إلى المال كما تدعين، مع أنني أجد الأمر غير معقول... ولا مجال للتفكير فيه.» شربت مونيكا بعض الشراب. «إنه ينتظرك في المكتبة، والأفضل ألا تدعيه ينتظر طويلاً.»

سارت فيليبا بضع خطوات نحو المكتبة، وهي في شبه دوامة. كانت نادراً ما ترى زوجة أبيها منهارة... ليس منذ أن عرفت بخطط كيڤين للمستقبل. من الواضح أن حفلة العشاء المهمة لم تجرِ كما خططت لها.

لقد سمعت بمؤسسة دي كورسي العالمية، بالتأكيد. ومن لم يسمع بها؟ ماذا يمكن أن يطلب شخص له علاقة بتلك المؤسسة الكبيرة من شخص تافه مثلها؟ الأمر غير معقول كما قالت مونيكا.

توقفت أمام باب المكتبة، تتساءل إذا كان عليها أن تدق أم لا. غيرت رأيها بسرعة، أدارت مقبض الباب ودخلت إلى الغرفة.

كانت كل الأضواء مشعة، توقفت فيليبا قليلاً، وهي تطرف عينيها بعد ظلام الرواق النسبي. عندما اعتادت عيناها على الوهج، ورأته، تجمدت في مكانها من وقع المفاجأة.

رئيس شركة مهمة كدي كورسي، يجب أن يكون أكبر سناً، فكرت وهي تشعر بدوار. رجل بدين، متوسط العمر وناضج... مثل لينوكس أندرهاي.

لكن هذا الرجل شاب وجذاب جداً، تفحصت عيناها

الثاقبتان جسده الرائع وشعره الأسود الكثيف الذي يتموج من أعلى جبينه إلى الوراء. اقتربت منه حتى تمتع نظرها بعينيه الخضراوين اللتين تزينهما رموش كثيفة وبشفتيه الممتلئتين والقاسيتين.

كان طويل القامة، أظهرت بدلته الرسمية الأنيقة منكبيه العريضين، وورکيه النحيلين.

بدا مندهشاً هو أيضاً، كان حاجباه السوداوان يتحركان فوق قصبة أنفه الطويلة تلقائياً، وهو يتفحصها ببطء من أعلى إلى أسفل.

شعرت يداها بالرطوبة فجأة فمررت كفيها على بنطالها. بددت هذه الحركة الصمت الذي طوقهما وتحرك هو أيضاً على نحو مفاجيء وكأنه كان غاضباً من شيء.

عندما تكلم بدا صوته بارداً وضعيفاً وكأنه في حالة تأمل.

«إذاً... أنت فيليبا.»

«نعم.» اجابت بصعوبة وهي ما تزال تحدق إليه شبه مخدرة ومدركة أن حلقها جاف وأن نبضات قلبها تتسارع بشكل مزعج. «وأنت... السيد دي كورسي.»

ابتسم بسخرية. «أعتقد أن علينا في مثل هذه الظروف أن نكون أقل رسمية. إسمي آلان.»

«أي ظروف؟» شعرت فجأة بالخوف. يا إلهي لا ارغب أن أكون عاهرة. «أنا... أنا لا أفهم، يا سيد.»

«ألم يخبروك؟» التقت عيناه الخضراوان بعينيها وتجمدت نظراتهما. «إذاً المهمة... سيكون الشرف لي، على ما يبدو، إن قدرنا يا آنسة، أنا وأنت، أن نتزوج.»

www.rewity.com/vb

بدت فيليبا للحظة، وكأنها فاقدة الحس. لم تستطع الحراك أو الكلام... أو حتى التفكير بشكل منطقي، غير معقول. لكن يبدو أن الأمر أسوأ من ذلك. إنه الجنون بحد ذاته. ما زالت كلماته تتخبط في رأسها. لا بد أن رئيس شركة دي كورسي العالمية أصيب بالجنون، ولا أحد يعرف بذلك غيرهما.

«الأفضل أن تجلسي.» أضاف آلان دي كورسي باقتضاب: «قبل أن تنهاري.» ألقى نظرة خاطفة على وجهها، ثم ثبت نظره على بنطالها الضيق، عبس ثانية: «كم تبلغين من العمر يا مدموزيل؟».

«عشرون سنة.» مررت لسانها فوق شفتيها الجافتين: «هل قلت... نتزوج؟»

أومأ برأسه من دون أن يبتسم.

بلعت ريقها بصعوبة. «لكنني لم أرك في حياتي من قبل... حتى أنني لم أعرف بوجودك حتى هذه الليلة.»

«أنا أيضاً، ولكنني لا أعتبر ذلك عائقاً.» أحضر لها كرسياً ذا مسند عال وأجلسها عليه، ثم وضع كرسياً آخر في مواجهتها. «قبل أن تتهميني بالجنون، اسمحي لي بتوضيح بسيط. إني بحاجة إلى أن أكون متزوجاً، يا مدموزيل، وبأسرع وقت. وكنت عازماً على نشر إعلان في الجريدة أطلب فيه زوجة قبل أن آتي إلى حفلة الليلة.»

«لابد أنك تمزح.» قالت فيليبا بسخرية: «لن أسامح مونيكا... أو لينوكس أبداً. أعتقدت أنني تصرفت بغباء... عندما أخبرتهما بأنني بحاجة ماسة إلى المال.»

«إنني لا أمزح.» قال آلان دي كورسي بهدوء: «كنت شارد الذهن خلال العشاء، واستطاعا إقناعي بالتحدث عن متاعبي. اقترحت زوجة والدك السابقة عليّ حلاً سينقذنا نحن الإثنين. لذلك طلب منك الحضور إلى هنا الليلة. ولذلك نحن معاً.»

أخذت نفساً عميقاً. «إني... لا أصدق. هذا جنون!» رمقته بنظرة ازدراء. «كنت تنوي أن تنشر إعلاناً في الجريدة، حقاً! أنت آخر شخص في العالم، بحاجة إلى أن يلجأ إلى وسيلة كهذه.»

ابتسم لها بلطف. «شكراً على هذا الإطراء... إذا كان هكذا فعلاً. في الحقيقة، أعرف القليل من النساء اللواتي يعمر مناسب وخلفية جيدة وأقل من اللائي يسمحن لأنفسهن بالزواج في هذه الطريقة، من دون فترة التعارف التقليدية... أو التعهد بالحب والإخلاص لمدى الحياة. أي شيء أقل، سيعتبرنه إهانة.»

«ألا تعتقد بأن الأمر يهينني؟» تصلبت فيليبا في مكانها.

هز آلان دي كورسي كتفيه بلا مبالاة. «فما عرفته الليلة عنك، لا أعتقد أن في استطاعتك أن تتحملي رد الإهانة.» أجاب بصدق: «عرفت أنك في حاجة إلى بعض المال لتدفعي تكاليف علاج والدك في الولايات المتحدة، ولتبقيه في عيادة خاصة. إذا تزوجت مني، سأحرص على تنفيذ كل طلباتك. أنت بحاجة إليّ لتأمين مستقبل والدك، يا مدموزيل. وأنا بحاجة إليك لمستقبلي. هل نعقد صفقة؟»

لقد نصحتها مونيكا بالإستماع إليه. وجدت فيليبا نفسها ترتجف.

www.rewity.com/vb

«أولاً، عليك أن تفسر لي حاجتك إلى الزواج بسرعة. لماذا لا تبحث، عن زوجة... تهتم بها فعلاً؟»

«الزواج ورقة يانصيب.» قال بسخرية: «كنت دائماً أتجنب شراء بطاقة. لكن الآن أهلي يضغطون علي بشدة.»

توقف قليلاً ثم تابع: «ورثت الشركة عن جدي. ومنذ ذلك الحين، وعمي لويس يحقد علي لأنني سلبته هذا الحق. بدأ يعمل ضدي منذ سنتين، ويحاول الاعتراض دائماً على الصفقات الملتزم بها حتى... يشوه سمعتي ويضعف سلطتي، وذلك باتهامي بقسوة أمام أعضاء المجلس أني زير نساء طائش.»

رمقها بنظرة سريعة. «ابتسمت أخيراً، يا مودموزيل. أنا أيضاً أجد الوضع مضحكاً. لكن أصبح جدياً مؤخراً. لقد ارتبط اسمي بامرأة متزوجة من رجل مهم في الحكومة. ولمحت بعض الصحف إلى ذلك... وانتشرت الشائعات في الوسط الإجتماعي الذي أنتمي إليه... تعرضت للشائعات سابقاً ـ أنا لست قديساً ـ ولكن هذه المرة استطاع عمي أن يستغلها لمصلحته، وأن يثير مجلس الشركة ضدي على أن تصرفاتي مخزية، وستتسبب بفضيحة للشركة مما سيضعف مركزها في السوق. إنه يعتبرني غير جدير بمركز رئاسة الشركة. وعليه، دعا إلى اجتماع طارىء سيعقد بعد أسبوعين لمناقشة الوضع، ولمطالبتي بتقديم الاستقالة. إنه يخطط للاستيلاء على مركزي، ومخالفة إرادة جدي، وهذا احتمال غير مشكوك فيه. وقد يؤدي إلى كارثة. هل فهمت المشكلة؟»

عضت فيليبا شفتها. «أعتقد... ذلك. لكن ربما كان عمك

على حق... وربما كنت أنت فعلاً شخصاً مستهتراً. إذا كنت على علاقة مع تلك المرأة... فلا داعي لأن تنكر أمامي...»

تغير تعبير وجهه. «عمي، يا مدموزيل، يفكر بطريقة بورجوازية لا تطاق، وهو يعرف جيداً أن حياتي الخاصة لا تؤثر بتاتاً على عملي.»

تردد قليلاً، بدا نادماً على شيء. «هناك عامل آخر. لدى عمي ابنة تدعى سيدوني. ولقد لمح لي عدة مرات بأنه سيوقف معارضته إذا عرضت الزواج على ابنته.»

«أليس حلاً مناسباً؟»

«ما كنت اقترحت ذلك لو التقيت بها يوماً. انها امرأة معقدة ومتسلطة وذات مزاج سيء.»

«ربما أنا كذلك.»

«هذه مجازفة علي القيام بها.» تفحصت عيناه وجهها وجسدها بشكل مزعج. «تبدين إنسانة واضحة وابنة مخلصة ومحبة. هذا ما أكدته لي الليدي أندرهاي. ولهذا السبب اقترحت هي وزوجها أن أجري المقابلة معك.»

توقف عن الكلام. «علينا اتخاذ بعض الخطوات المتهورة أحياناً لمعالجة مشكلاتنا، ألست موافقة؟»

خطوات متهورة، فكرت فيليبا. هذا قولها، يرتد عليها كي يلازمها.

«حسناً... ربما. ولكن... الزواج...»

راقبها للحظة طويلة. «أنت خائفة من مضمون هذه الكلمة وبحاجة إلى معرفة طبيعة هذه العلاقة التي أعرضها؟»

أحست فيليبا بحمرة الخجل تعتلي كامل وجهها. «نعم.»

«حسناً، هذا طبيعي.» بقي صامتاً لعدة دقائق. «لست

www.rewity.com/vb

وحشاً، يا فيليبا، ولكنني بحاجة إلى أن أضمن استمرارية عائلة دي كورسي. سأطلب منك يوماً أن تمنحيني طفلاً. أعدك بأنني سأنتظر حتى تصبحي مستعدة. هل هذه هي الضمانة التي تريدينها؟»

«نعم... كلا... لا أعرف.» شبكت فيليبا يديها باحكام. «هذا سخيف، إنه وضع مستحيل!»

«كما تقولين. ولكنه حل عملي لمصاعبنا المشتركة.»

«هل هذا كل ما يهمك؟»

«وماذا غير ذلك؟» بدا متبهجاً.

«ماذا عن... الحب؟»

«ماذا عنه، بالفعل؟» ضحك الآن بجرأة. لاحظت أن أسنانه بيضاء وجميلة مع أنه لا يدخل ذلك بالموضوع. «كما ذكرت، يا مدموزيل، سابقاً، لقد التقينا منذ برهة. وأشعر أن أي محاولة ودية للتقرب منك ستؤول إلى الفشل طالما لم يحن الوقت...»

«لم أقصد ذلك.» قالت بتوتر.

«لا؟ اذاً أنت على علاقة مهمة مع شخص آخر؟»

أثارتها نبرة صوته المريبة، ورفعت ذقنها بتحدٍ، وازداد تورد خديها.

«هل الأمر مستحيل لهذه الدرجة؟»

«إنه بعيد الاحتمال.» قال بشكل مغيظ: «أنا واثق من طبيعتك البريئة... والمزعجة.»

حملقت به. «في الحقيقة، كنت أتساءل عما سيحدث بعد أن نتزوج لو أن أحداً منا تعرف إلى شخص آخر.»

«الزواج ليس عائقاً دائماً لعلاقة كهذه.» قال برقة: «ما دامت سدادة الرأي موجودة.»

«وجهة نظر ساخرة وبغيضة!»

«إني أحاول أن أكون عملياً.» أجابها دي كورسي على نحو حاسم: «على كل حال لم نتزوج بعد، لمَ نبحث عن مصاعب ليست موجودة؟»

«آه، طبعاً، كل شيء سيسير على ما يرام.» ابتعدت عنه قليلاً وهي تشعر بمرارة كلامه. «أستطيع أن أفهم ذلك.»

بقي صامتاً لعدة دقائق ثم قال بهدوء: «فيليبا، لم يكن الزواج أمراً سهلاً أبداً. حتى لو كنا التقينا من قبل وأحببنا بعضنا البعض، فسيكون هناك أيضاً... بعض التعديلات. وضعنا غير عادي، لكن من يستطيع أن يقول إن الزواج الذي ينشأ من صداقة واقتناع متبادل لا يمكن أن ينجح في آخر الأمر؟»

«ولكننا لسنا صديقين.» قالت بصوت مخنوق.

«ليس بعد، ربما، لكن هل هذا الإحتمال بعيد جداً؟»

«تماماً، كما قلت.» هزت رأسها. «عليك أن تسأل شخصاً آخر.»

هز كتفيه بلامبالاة. «كما قلت، استطيع أن أضع اعلاناً. لكن إلام ستلجأين؟ أنت بحاجة ماسة إلى المال. أو هل بالغت زوجة والدك بذلك؟»

«كلا.» أحنت فيليبا رأسها بحزن. «إنها حق. ولكنني... لم أفكر أبداً بأن الأمور... ستصل إلى هذا الحد.» نظرت إليه. «لن تفكر... بإقراضي بعض المال.»

«فقط بشهادة زواج كضمان. أريد أن أحظى بالاحترام من خلال الزواج بك، يا حبيبتي. لقد امضيت وقتاً طويلاً في بلدك. سأخبر عائلتي وأصدقائي بأننا تقابلنا في زيارة

www.rewity.com/vb

سابقة، وبانني أتودد إليك منذ ذلك الحين. كتمنا خبر زواجنا بسبب صحة والدك السيئة.» طقطق أصابعه واستطرد: «وهكذا! سأبدد كل الشائعات بضربة واحدة.»

تنهدت بشدة. «الأمر ليس سهلاً. لا أستطيع أن أعطيك جواباً اليوم... الليلة. عليك أن تمنحني بعض الوقت لأفكر... لأقرر...»

«هذا معقول جداً. إنني أقيم في فندق سافوي. بإمكانك الاتصال بي.» نهض عن كرسيه، ولحقته فيليبا. «لا تدعيني أنتظر طويلاً يا موريموزيل. الوقت ثمين لكلينا... هل كان الوضع لختلف لو اخبرتك في البداية بانني أقتني إحدى لوحات والدك؟»

«أوه؟» افترقت شفتاها بانذهال تام. «أي واحدة؟»

«جسر مونتاسكو. من المؤسف أن ندع هذه الموهبة... تنهار.» سمح لكلماته بأن تتمكن منها ثم ابتسم. «والآن، هل تسمحين لي بايصالك إلى البيت؟»

«كلا، شكراً.» تراجعت فيليبا عفوياً خطوة إلى الوراء بعيداً عنه. وشعرت وكانها حجزت مع نمر في قفص في لحظة غفلة، وبانها سعيدة الحظ لتمكنها من النجاة.

إذا تزوجته، لن يكون هناك مجال للهرب، فكرت والخوف يتملكها. سأضطر لأن أعيش معه... تحت سقف واحد. وفي آخر الأمر سأشاركه... المخدع.

لم تستطع التركيز، وكأن عقلها يرفض قبول هذا الإحتمال.

ماذا عن المال؟ لقد وعدها بتنفيذ كل رغباتها. هذا ما عليها أن تتذكره. إنها بحاجة إلى معجزة، ربما هذا ما كان دي كورسي يعرضه عليها الآن.

لكنها لا تشعر أن هذا العرض هو المعجزة، بل كسيف ذي حدين خطير لا يمكن التكهن بعواقبه.

لاحظت، أنه كان يراقبها عن كثب، وأن عينيه ضاقتا فاسرعت بالكلام.

«سأعلمك غداً بقراري... أعدك بذلك.»

«إذاً سأنتظر جوابك بفارغ صبر.» تقدم نحوها وقبل أن تعي ما ينوي القيام به، رفع يدها إلى شفتيه وقبّلها. شعرت بأن يدها تحترق، برغم أن حركته كانت خاطفة.

نظر إلى عينيها وهو يبتسم. «أتمنى لك ليلة هانئة يا حبيبتي. وإذا شعرت بالقلق فكري جيداً.»

www.rewity.com/vb

الفصل الثاني

عندما استيقظت باكراً في الصباح التالي لتحجب عنها أشعة الشمس المتسللة من خلال الستائر، فكرت في البداية بأن كل ما جرى لها البارحة هو مجرد حلم مزعج منافٍ للعقل.

أمور كهذه لا تحصل أبداً، قالت لنفسها، وهي تجثم تحت الأغطية. ليس في عالم الواقع. إن فتاة مثلها، ليست على قدر كبير من الجمال، لا يعقل أن تتلقى عرض زواج من مليونير فرنسي مهما تعددت الأسباب، ومهما بدا الأمر عملياً. حاولت أن تتذكر كلامه، ولكن عقلها رفض التعاون بسبب الانطباعات المضطربة الكامنة فيه.

لا بد أنها في حلم، قالت لنفسها وهي في حالة ارتباك شديد. لقد شوش ضيف مونيكا ذهنها كلياً. هذه هي الحقيقة. هناك تفسير منطقي لكل شيء.

بسطت ذراعيها فوق رأسها، ثم وضعتهما ببطء أمامها. لقد اعتادت رؤية يديها الصغيرتين ملطختين بالدهان. لكنها الآن تستعملهما لرعاية كيثين وهي فخورة جداً بذلك.

فجأة، وهي تنظر إليهما، أعادتها إحدى الصور العالقة في رأسها إلى الواقع الذي لا يمكن تجنبه. جلست منتصبة كالسهم، تكبت صرخة مروعة.

يا إلهي، فكرت. لقد قبّل يدي! جلست للحظة، وهي تحملق في أصابعها، وكأنها تتوقع رؤيتها موسومة بعلامة على

بشرتها. عرفت أنه لا توجد طريقة تستطيع بها أن تحلم بذلك الإحساس بالذات.

إذاً كل شيء حقيقي. في هذه الحالة ماذا عليّ أن أفعل؟

أولاً بإمكانها أن تجيب على الهاتف الذي رنّ في الوقت المناسب.

«حسناً.» هذا أول ما قالته مونيكا بعد أن سمعت فيليبا تلقي التحية.

بلعت فيليبا ريقها بصعوبة. «عمّ؟» ردت بصوت خفيض.

تنهدت مونيكا بتوتر: «أرجوك، لا تتغابي عليّ.» أمرتها بحدة. «ماذا قررت؟ هل ستقبلين عرض آلان دي كورسي؟»

ذرات من الغبار، تسبح في شعاع الشمس العريض المتسلل عبر الستائر الرقيقة.

على الأرجح، فكرت فيليبا وهي تمسك السماعة بإحكام، وكأنها صلتها الوحيدة مع الواقع. إني واقعة في مأزق لا أعرف ماهيته، ولا أستطيع السيطرة عليه. إني في دوامة، عاجزة عن التصرف.

«فيليبا!» بدا صوت مونيكا متلهفاً. «هل ما زلت معي؟ سألتك عما ستفعلينه.»

قالت بهدوء: «لا أعتقد أنه لدي خيار حقاً. سوف... سوف آخذ ماله.»

«ليس المال فحسب، يا عزيزتي.» ضحكت مونيكا بسخرية: «ستحصلين على شقة في باريس، وعلى بيت ريفي، ودارة في نيس. إنها البداية فقط يا عزيزتي. ولا تنسي أن آلان هو أحد الرجال الأكثر جاذبية وتأهيلاً في فرنسا. لقد أحسنت الاختيار.»

www.rewity.com/vb

«حقاً؟» سألت فيليبا. شعرت وكأن في قلبها حجراً.

«الأفضل أن تتزوجي في لاودن، هل يستطيع كيفين حضور الإحتفال؟»

انتفضت فيليبا من مكانها وكأنها تلقت ضربة. «كلا، أتمنى أن يتم ذلك وهو قد بدأ يتلقى العلاج في أميركا.»

«حسناً، كما تريدين. سأحضر لك غرفة، أتوقع حضورك بعد ساعة لأننا سنقوم بجولة في الأسواق.»

«لماذا؟»

ارتجف صوت مونيكا بشكل مثير: «يا عزيزتي، مع أن الاحتفال سيجري بشكل هادىء، وبسرية تامة، لا يمكنك أن تتزوجي في بنطال من الجينز. سأتكفل أنا ولينوكس بجهاز العرس كهدية لك.»

«ليس من الضروري...»

«هذا هراء.» قالت مونيكا بحزم. «سأراك لاحقاً.» وأنهت مونيكا المكالمة.

بعد ساعة من الوقت، وجدت فيليبا نفسها في جناح آلان دي كورسي. كان يجلس إلى طاولة قرب النافذة، يتناول فطوره ويقرأ جريدة عندما دخلت عليه، ولكنه نهض بسرعة، ليرحب بها بلطف.

«إني آسفة.» قالت فيليبا عندما كانا بمفردهما: «كان علي أن أتصل أولاً. من الواضح أنني أبكرت...»

«لا على الاطلاق.» أشار إليها بالجلوس إلى جانبه. «هل تناولت الفطور؟»

لاحظت فيليبا بإحراج أن الطاولة معدة لشخصين. «آه... انك تنتظر ضيفاً.»

ابتسم لها. لاحظت أن ثيابه غير رسمية هذا الصباح، فهو يرتدي بنطالاً أزرق، وقميصاً ملائماً مفتوحاً قليلاً يظهر عنقه الملوح بحرقة الشمس وشعر صدره الكثيف.

«كنت أتوقع حضورك، يا عزيزتي. هل تريدين بعض القهوة؟» أمسك بالوعاء وصب بعضاً منه في فنجان، ثم قدم لها السكر والكريما التي رفضتها.

أخذ آلان دي كورسي تفاحة من سلة الفواكه وبدأ يقشرها.

«هل فكرت جيداً؟»

أومأت برأسها بصمت.

«إذاً... ما هو جوابك؟»

أخذت الملعقة وأخذت تحرك القهوة اللذيذة، متعمدة عدم النظر إليه.

«سأتزوجك، ولكن هناك شروط.»

«توقعت ذلك.» قال بسخرية: «ما هي؟»

«يجب أن يبدأ أبي بالعلاج في أسرع وقت ممكن... ويجب أن لا يعرف شيئاً عن... اتفاقنا.»

«هل ستخفين عنه خبر زواجنا؟ لكن لماذا؟»

«لأنه إذا علم بالحقيقة سيرفض الذهاب إلى أميركا... لأنه سيظن أني أضحي بنفسي من أجله. لن أجازف بذلك.»

«فهمت، لكنني غير متأكد من قدرتك على الاستمرار بكتم الأمر، عليك إخباره يوماً ما.»

توردت وجنتا فيليبا. «تعني، عندما... إذا أصبحت حاملاً؟ سأتخطى ذلك في الوقت المناسب.»

«لم أقصد ذلك تماماً.» قال آلان ببطء: «إذا نجح العلاج،

www.rewity.com

سيفكر بمزاولة حياته السابقة التي أنت جزء مهم منها. ألم تفكري بأنه سيلاحظ أنك تزوجت؟»

«إذا نجح العلاج... أو إذا شفي نهائياً، سأصارحه بكل شيء، لأن وضعه يكون مؤاتياً، وأتمنى أن يتفهم تصرفي.» قالت بهدوء ثم عضت شفتها. «وإذا فشل لن يهم بعد ذلك.»

ترددت ثانية. «كنت أتساءل إذا كنت تود أن أخضع لفحص طبي.»

وضع التفاحة على الطاولة وحدق إليها. «لماذا؟ هل أنت مريضة؟ هل تعتقدين أن مرض والدك وراثي بطريقة ما؟»

«آه، كلا.» بدا وجهها كزهرة الفاوانيا. «لقد أعربت لي عن رغبتك في الحصول على... وريث. وفكرت بأنك تريد أن تتأكد من قدرتي...»

رفع آلان يده باحتجاج. «إنني لا أطارد حيواناً صغيراً.» قال بغضب. وأضاف: «أعتقد أن الأمر سيأخذ مجراه الطبيعي في الوقت المناسب، أليس كذلك؟»

تمتمت شيئاً وهي تشعر بالاحراج من كلامه.

«لم أسمعك.» قال بنفاد صبر. «لماذا لا تنظرين إليّ عندما تتكلمين؟»

رمقته بنظرة يائسة. «قلت... إن الأمر لن ينجح. أعني، أن ما من أحد... سيصدق ذلك.»

«لما لا؟»

«حسناً، فقط... انظر إليّ!»

«إنني أنظر. أنت نحيفة جداً، وشعرك بحاجة إلى قص. هل هناك شيء آخر يقال؟»

شبكت فيليبا يديها بتوتر في حضنها. «أعتقد أنني لن

أجيد دور الزوجة لأحد... خاصة لمليونير يملك منازل في كل أنحاء فرنسا. لا أعرف ماذا تتوقع مني...»

«صدقيني، اتوقع القليل. في البداية سأكتفي بظهورك إلى جانبي أمام الناس. أما بالنسبة لمنازلي... فلدي فريق عمل كامل يهتم بها.» رمقها بنظرة ساخرة. «مهمتك لا تتضمن تنظيف الغرف وتحضير الطعام.»

«ولكنك تريدني بالطبع أن أتصرف كمضيفة... لم أقم بذلك من قبل.» ضعف صوتها وهي تتذكر الأيام المشمسة التي قضتها مع كيڤين في جنوبي غربي فرنسا، الصداقة الحميمة، الأسواق، النوادي الليلية.»

«بإمكانك أن تتكلمي بصوت عالٍ، وتعبري عن نفسك بحرية. سأكون إلى جانبك دائماً... وسأحذرك من إثارة بعض المواضيع التي من الأفضل تجنبها مع أشخاص معينين.»

«علي أن أرتدي... ثياباً مختلفة.»

«هل كنت تنوين أن تمضي بقية حياتك في ذلك الجينز البائس، يا صغيرتي؟»

«بالطبع لا.» بقيت فيليبا صامتة لعدة دقائق ثم قالت بتوتر. «لا أعتقد أنك تلاحظ كم ستختلف حياتي.»

«وحياتي أيضاً. تأكدي من أن فكرة الزواج لا تعجبني أكثر منك، يا عزيزتي.»

«حسناً، أعتقد أن من الأنسب لك أن تتزوج ابنة عمك.» قالت بعناد ثم رشفت قهوتها. «يجب أن تخبرها بحقيقة شعورك نحوها، إلا إذا كانت مستعدة للتظاهر...»

«ليست مستعدة أبداً.» قال بسخرية. «إنها تتمنى ذلك.

www.rewity.com/vb

وتتوقع مني أن اتصرف معها كحبيب متيم... وأن أفسر لها غيابي عنها كل لحظة حتى أوفر عليها الدموع، الغيرة والانفعال. لن أحتمل ذلك أبداً.»

«استطيع تصور الأمر.» قالت فيليبا بنفور: «اخشى أنه ليس من المفترض أن أطرح عليك أسئلة كثيرة؟»

«اسألي ما تشائين، يا عزيزتي.» رمقها بنظرة مبهمة. «لكن لا تلوميني إذا لم تعجبك الأجوبة.»

دفع بكرسيه إلى الوراء ثم وقف. «لديّا يوم حافل بالأعمال. سأتصل بالمحامي، ثم بمصرفي في لندن، ليتخذا التدابير اللازمة المتعلقة بعلاج والدك.» دار حول الطاولة، ثم توقف وهو ينظر إليها بابتسامة. «أتمنى ألا تهربي بالمال، يا عزيزتي. لأن هذا لن يفرحني أبداً.»

«سوف أفي بوعدي.» رفعت فيليبا ذقنها بتحد. «علينا... أن نثق ببعضنا البعض، يا مسيو.»

«هكذا يبدو. هل سنختم جلستنا بالطريقة العادية؟»

سمحت لأصابعه بأن تطوق أصابعها، وذهلت عندما وجدت نفسها تنساق إليه قبل أن تستطيع المقاومة. وضع آلان ذراعيه حولها بإحكام. شعرت بضغط ذراعيه القاسيتين على كتفيها.

حاولت بيأس إبعاده عنها، لكنه منعها. لقد أخطأت عندما سمحت لنفسها بالتفكير فيه كرجل أعمال جذاب. شعرت بقوة عضلاته الحديدية. ومع ذلك كانت كلماته تلاطف أذنيها ببطء وبرضى تام.

فقالت بصوت أجش، عندما استطاعت أن تتكلم: «ما كان يجب أن تفعل ذلك.»

«معك حق.» وافقها وهو يمرر يده على ذقنه بأسف.

«عليك أن تتذكر وعدك بعدم... مضايقتي. وبمنحي بعض الوقت.»

رفع آلان حاجبيه. «كل هذه الجلبة من أجل ترحيب بسيط! ماذا لو قبلتك...» ابتسم لها. «تعالي أريدك بقربي وأنا أحلق، بعدها سأريك الفرق.»

«كلا.» تراجعت خطوة إلى الوراء، وهي مدركة أنها تلهث، وأنه لاحظ ذلك. «يجب أن أذهب وأتكلم مع أبي وطبيبه... لأزف لهما الأخبار الحسنة... ولأقوم بالترتيبات اللازمة.»

لم يحاول آلان أن يؤخرها. «كيف سأتصل بك؟»

«سأكون في لاودن، دعتني مونيكا للبقاء معها... حتى يحين موعد الزفاف.»

أومأ برأسه. «إذاً سأراك هناك، أو هو!»

حتى تلتقي ثانية، فكرت فيليبا عندما وجدت نفسها في الرواق وبأمان، بعد أن أغلق الباب بينهما. وقفت للحظة، لتسمح لدقات قلبها بأن تخفف من حدتها. لم تكن واثقة من أنها تريد أن تلتقي بشخص مزعج مثل آلان دي كورسي مرة ثانية، وخاصة في مثل ظروفها.

أتمنى لو أنه ودعني من دون أن يعانقني، فكرت فيليبا.

بعد أسبوع، غادر والدها إلى أميركا برفقة ممرضة خاصة. اختلقت له قصة وهمية بأن المال ترك في صندوق تقاعد الشركة وأهمل تسجيله. لم تكن واثقة من أنه صدقها، ولو كان في صحة جيدة لقام ببعض التحريات. بدا سعيداً

www.rewity.com

جداً لدرجة أنه لم يستجوبها بدقة، وكانت شاكرة لذلك. تزوجت فيليبا آلان دي كورسي بعد ثلاثة أيام من رحيل والدها.

مرت أيام تلك الفترة بلمحة بصر. استكانت فيليبا بعض الشيء، وسمحت للأحداث بأن تأخذ مجراها بنوع من السلبية، لم تكن من طبيعتها.

شعرت وكأنها في حلم وأن كل ما يحدث حولها بعيد الشبه تماماً عن الواقع. جربت الثياب بشرود تام، راقبت مزين الشعر وهو يقص شعرها الطبع والأملس على نحو قصير جداً ليجعله أكثر اشراقاً، استمعت إلى كلام مونيكا المزعج من دون أن تفقه كلمة واحدة مما قالته.

اصطدمت بالواقع أخيراً، عندما وجدت نفسها على متن طائرة متوجهة إلى باريس بفستان صوفي أنيق كهرماني اللون اختارته لها مونيكا. حدقت بخاتم زواجها الذهبي، وحاولت أن تتنكر شعورها عندما وضعه آلان في إصبعها قبل بضع ساعات.

كانت مخدرة، فكرت فيليبا. وما زالت حتى هذه اللحظة.

لكنها لن تضطر إلى تحمل شهر عسل. سيستغنيان عن هذا التقليد في الوقت الحاضر، هذا ما قاله آلان لها، لأنه أمضى وقتاً طويلاً في لندن. إذاً هما ذاهبان مباشرة إلى شقته الباريسية.

«أتمنى ألا تجديها مملة.»

«آه، لا.» تمتمت فيليبا وهي تحاول جاهدة إخفاء ارتباكها. سيكون الوضع محرجاً بعد أن تشاركه سقفاً واحداً. لن تستطيع تحمل فكرة وجودهما وحيدين في جناح

عرائس مع كل ما يتضمنه من واجبات. كان آلان يعرف ما يدور في رأسها، لكنه لم يقل شيئاً، بل اكتفى بالابتسام لها بين الحين والآخر بشكل تهكمي.

وضعت يدها على عنقها تتلمس عقد اللؤلؤ الذي قدمه لها آلان كهدية الزواج.

«رائع!» صرخت مونيكا عندما كانت تساعد فيليبا على تغيير ملابسها.

«نعم... لكنه ألا يرمز إلى الدموع؟» شعرت فيليبا بالانزعاج بينما كانت مونيكا تثبت المشبك.

«كلا، يا عزيزتي، إذا كنت واعية تماماً.» حملت ابتسامة مونيكا معنى الحسد بعيداً عن أي حقد. «تمتعي بهذه الغنيمة، مدام دي كورسي. لأنك ربما لن تجدي غيرها.» أضافت بسخرية ثم نظرت إلى ساعتها. «علينا أن نسرع، زوجك ينتظرك.»

زوجك. اختلست فيليبا النظر إلى هذه الظاهرة غير المتوقعة والمثيرة التي تجلس إلى جانبها، يبدو أنه منهمك في قراءة مجموعة من الأوراق، يحتفظ بها عادة في حقيبته الجلدية.

لا تعرف إذا كان عليها أن تشعر بالسعادة أم بالحزن لانهماكه عنها. ثم رأت أن تصرفه، حتى لو لم يكن إطراء لها، فإنه بالتأكيد مريح. على الأقل لن تضطر إلى مسايرته.

في خلال الأيام العشرة الماضية كانت ترى آلان يومياً تقريباً، ولكنها لم تعرفه أفضل مما فعلت في أول أمسية لهما عندما توجهت إلى المكتبة في لاودن.

لم تتعدَ علاقتهما حدود الصداقة كما وعدها، ولم يحاول

www.rewity.com/vb

عناقها مع أنها كانت ترغب في ذلك. اعترفت لنفسها بأنه شخص ساحر، حاول إغراءها بالكلام حتى يكتشف ميولها في الأدب والموسيقى والفن وإذا كانت تفضل الباليه أم الأوبرا، كرة المضرب أم السكواتش، حتى انه سألها عن طعامها المفضل.

ربما يريد أن يجمع ملفاً عنها أو... أن يخزن هذه المعلومات في كومبيوتر الشركة حتى يستعملها كمراجع في المناسبات الخاصة.

بدأت فيليبيا تدرك كم كان موجزاً في الحديث عن نفسه، هذا الغريب الذي تزوجها على السراء والضراء.

على السراء والضراء. كررت فيليبيا هذه الكلمات في رأسها، وارتجفت فجأة.

لم تنتبه فيليبيا للوقت، ولكن يبدو أن الطائرة تهبط. كان الاستقبال في المطار بسيطاً، ووجدت نفسها في سيارة ليموزين يقودها سائق خاص. فكرت أن عليها أن تتكيف مع هذه الشكليات وإن كانت تكرهها.

قبل أن تكون مستعدة كلياً، وجدت نفسها تسير إلى بناء مهيب في إحدى أحدث المناطق، وتصعد في مصعد إلى شقة فخمة.

أخبرها آلان أن الشقة ليست جزءاً من الممتلكات التي ورثها، وأنه اشتراها بنفسه منذ بضع سنوات، لأنها قريبة من مراكز عمله. أخبرها أيضاً أن هناك امرأة تدعى هنرييت ترعى شؤونه، ويساعدها في بعض الأحيان زوجها جيسكار. وأنهما الآن بانتظار سيدهما وعروسه الحلوة.

عندما تمت كل المقدمات، أخذها آلان على حدة. «هل

ستكونين بخير إذا تركتك هنا؟» سألها بصوت خفيض. «إنني بحاجة لأن أذهب إلى المكتب، ولا أعرف متى أعود.»

«لا أمانع أبداً... سأكون بخير.» تمتمت فيليبيا وهي تشعر بتورد خديها بسبب نظرته الفضولية.

«لا أشك في ذلك.» مرر آلان أصابعه على خدها الأحمر، واستدار نحو خدام جيسكار. «لن أكون هنا على العشاء، هنرييت تأكدي من تلبية كل طلبات السيدة.» رفع يد فيليبيا الضعيفة ثم طبع عليها قبلة سريعة.

«إلى اللقاء، يا حياتي.»

إذا كان آل جيسكار يعتبرون تصرف آلان شاذاً، كونه عريساً جديداً، فإنهم برعوا في إخفاء آرائهم. وجدت فيليبيا نفسها مراقبة في كل حركة تقوم بها. تأكدت أيضاً، من النظرات الخفية التي تبادلاها بأن زواجها ليس الصدمة الوحيدة لهما، ولكن آل جيسكار اعتبروها اسوأ زوجة يمكن أن يقع اختيار دي كورسي عليها. لا بد أن افتقارها إلى الخبرة والتكلف واضح بشكل مثير للشفقة، فكرت بمرارة. إذا لم تقدر على خداع الخدم فكيف تأمل بخداع عائلته وأصدقائه؟

استطاعت أن تكبت تنهيدة فرج، عندما قادتها هدام جيسكار بطريقة غير ودية إلى غرفتها. غرفة جميلة مهندسة بأسلوب عصري وتحاذي لغرفة آلان. على الرغم من موقفه الحيادي الذي اتخذه نحوها، فما زالت تخاف حتى الآن في سرها، من مواجهة تدابير المنامة إذا طالب بحقوقه. من الأفضل لها أن تعرف أنه يمكن الوثوق به بعد كل هذه الأحداث.

www.rewity.com/vb

قررت أن تستكشف معالم الشقة بمفردها من دون حضور مدام جيسكار البارد إلى جانبها. وجدت المكان متزمتاً وكئيباً. ذكّرها ديكوره الأنيق بفخامة لاودن الأثرية. ليس مريحاً على الإطلاق، فكرت فيليبا وهي تسمع طقطقة حذائها على الأرض المصقولة. بدت الستائر والأثاث وكأنها تحذرها من لمسها. وجدت نفسها تتساءل عن الوقت الذي أمضاه آلان هنا.

لكن هناك لمسة مألوفة أضفت سعادة روحية على جو البيت... لوحة كيڤين لجسر مونتاسكو المعلقة فوق المدفأة الرخامية الرائعة في غرفة الصالون. وقفت ويداها وراء ظهرها تحملق بها. أحبت الوقت الذي أمضياه في مونتاسكو. تنهدت بصمت وهي تتذكر السقوف الناتئة على التلال المنحدرة نحو النهر، وبرج القصر المدمر الذي يعلو الممر الضيق. لقد استأجرا بيتاً في أعلى القرية، تحيط به أشجار عالية. تاقت للعودة إلى الماضي، وإلى رؤية البيت وهو يسبح بين الغيوم. حين كان كيڤين يرسم، كانت هي تقوم ببعض الأعمال المنزلية، ثم تتجول في السوق الصغيرة والمبهجة لتحضر بعض الوجبات الرائعة والغريبة لكليهما. لكن والدها لم يتثمر أبداً، فكرت والابتسامة ترتجف على شفتيها.

عندما استدارت وهي تصلي بصمت من أجل شفاء والدها، لاحظت الساعة الرائعة التي احتلت موقعاً فخوراً على رف الموقد.

يبدو أن آلان لا يستعجل العودة. ليس لأنها تريده بقربها، بالطبع، لكنها ذكرت نفسها بسرعة أنه كان بإمكانه أن يساعدها أكثر حتى تتكيف مع محيطها الجديد. ألم يلاحظ

كم كانت تشعر بالغربة والوحدة؟ سألت نفسها باستياء.

حاولت مشاهدة التلفاز، ولكنها وجدت أنه يتطلب تركيزاً يفوق قدرتها، ومعرفة أشمل باللغة الفرنسية، وقد ادركت ذلك بصعوبة. عليها أن تخضع لتدريب كثيف في اللغة قبل أن تقوم هي وآلان بأية مهمات اجتماعية، مع أنها لا تتخيل نفسها تقوم بدور المضيفة في محيطهم المرعب.

على الرغم من تسريحة شعرها الحديثة وثوبها الجديد، ما زالت غريبة عن محيطها. كانت فكرة بائسة وغريبة، تقلص حلقها فجأة.

آه، كلا، قالت لنفسها بحزم. لن تبدئي بالبكاء. أنت متعبة فقط بعد هذا اليوم الحافل. الأفضل أن تأوي إلى الفراش... وفي الصباح ستتمكنين من المحافظة على دورك في هذه الاتفاقية وامتلاك اسلوب هذه الحياة الجديدة.

كانت في طريقها عبر الرواق العريض عندما رن جرس الهاتف. ترددت للحظة، قد يظهر آل جيسكار ويظنون انها تتعدى على حقوقهم، لكن عندما استمر رنينه ولم يرد أحد، رفعت السماعة بحذر شديد.

«آلان؟» كان صوت امرأة، ناعماً، دافئاً وأبح. «هذا أنا، يا حبيبي.»

شعرت فيليبا للحظة وكأنها تحولت إلى حجر. لكن لماذا هي تفاجأت؟ لم يكتم آلان عنها نزعاته. وبسبب ذلك هي موجودة هنا. لكنها لم تتوقع هذه المواجهة بهذه السرعة.

قالت باقتضاب «السيد دي كورسي ليس موجوداً، مدام.»

«ومن أنت؟» بدا صوتها خليعاً.

«زوجته.» قالت فيليبا، ثم أعادت السماعة إلى مكانها.

www.rewity.com/vb

الفصل الثالث

كانت فيليبا ترتجف بانفعال، وبإحساس آخر أقل تحديداً، عندما أغلقت باب غرفتها وراءها. إذا رنّ الهاتف ثانية ستنفجر بالبكاء قبل أن ترد عليه، قالت لنفسها. التغاضي عن مغامرات آلان العاطفية، كما اتفق شيء خاص، وتلقي الرسائل منهن شيء آخر.

تجمدت في مكانها للحظة، لتأخذ نفساً عميقاً حتى تستعيد توازنها. لا بدّ أن مدام جيسكار أفرغت لها حقيبتها. لاحظت ذلك، وهي تجول بنظرها في الغرفة. كانت أدوات زينتها بانتظارها، وأحد ثياب نومها الذي أصرت مونيكا على شرائه، ملقى على شكل مروحة فوق السرير.

نظرت فيليبا إليه بنفور. لقد كلفت ثيابها الداخلية أكثر مما اعتادت لدفع ثمن ثياب كاملة في كلية الفنون، فكرت بتوتر. يا له من تبذير للمال على رداء لن يراه أحد غيرها!

لم تجد فيليبا السرير مريحاً. نظرت إلى غطاء السرير الحريري الأخضر والمزين بكشاكش عريضة وتساءلت إذا كانت ستتمكن يوماً من أن تنام وسط هذه الترف.

هزت رأسها بشدة وهي تعترف لنفسها بأنها ضيقة التفكير. ربما سيريحها حمام دافىء قليلاً.

دهشت فيليبا لفخامة غرفة الحمام. شعرت بتوترها يزول تدريجياً عندما غاصت في المياه العبقة.

جففت جسمها بمنشفة الحمام الكبيرة الناعمة، ثم عطرت نفسها بمستحضر كان موضوعاً فوق المغسلة، قبل أن ترتدي ثوب نومها. نظرت إلى نفسها في إحدى المرايا الطويلة ثم عبست، ثبتت رباط صدرها الصغير، وكانت تنورتها الساتان مشقوقة من الطرفين. بدت كطفلة تلعب دور امرأة بشعرها المتدلي كمياه المطر حتى كتفيها، فكرت باستخفاف.

أبعدت شعرها البني الناعم عن وجهها ثم مشت إلى غرفة النوم، أطلقت صرخة عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام آلان. بدا مصدوماً مثلها، لاحظت ذلك ووجهها يضطرم.

كان ما يزال في بذلته السوداء الرسمية التي تزوج فيها، ولكن من دون السترة وربطة العنق الحريرية، والصديري غير مزرر.

«ماذا تفعل هنا؟» بدا صوتها أجش ومحرجاً وهي تبحث عن رداء، أو أي سترة تحجبها عن التعبير المثير الذي ظهر في عينيه الخضراوين. «ماذا تريد؟ الوقت متأخر جداً.»

قال ببطء: «بما أنك قلتها الأفضل أن تذهب.» كانت لهجتها متحفزة، وحاجباه السوداوان مرفوعين بغطرسة.

«كما أحضرت بعض الشراب لنشرب نخب مستقبلنا.» أشار إلى دلو الثلج والكأسين المنتظرين على طاولة ملائمة. «لا أعتقد أن هذا ضروري. ولكنه تقليدي... بالنسبة لليلة زفاف.»

«ولكنها ليست... ليس تماماً... أعني بأننا لسنا...» توقفت فيليبا لأنها أحست بالتهاب وجنتيها. «أنت تعرف ماذا أعني.»

www.jewity.com/vb

صبّ آلان الشراب في الكاسين ثم ناولها واحدة. «لست متأكداً من ذلك.»

أخذت الكأس وأمسكتها بارتباك. «قلت إنك... ستنتظر.» ذكرته بصوت مرتجف: «بأنك ستمنحني بعض الوقت حتى... أعوّد نفسي.»

أخذ رشفة من كأسه وهو يراقبها بتأمل من فوق حافة كأسه وقال: «إلى متى، يا عروستي الكسولة؟ هذه السنة، السنة القادمة، يوماً ما... أو أبداً، ربما؟»

مررت فيليبا لسانها على شفتيها الجافتين. «سأفي بوعدي... عندما يصبح الأمر ضرورياً. لكن ليس بعد.»

«وإذا أخبرتك بأن الأمر ضروري الآن... الليلة؟»

«لن أصدقك.» تراجعت خطوة إلى الوراء وهي ما تزال تحمل كأسها. «أرجوك توقف عن هذا الكلام واتركني في أمان كما وعدت.» توقفت لتستجمع شجاعتها. «إلى جانب ذلك، هناك شخص آخر يتوقع حضورك.»

رفع حاجبيه السوداوين معاً. «ما معنى ذلك؟»

«أكون شاكرة لك لو طلبت من عشيقتك أن لا تتصل بك إلى هنا مرة ثانية.» رفعت فيليبا ذقنها بتحدٍ. «ربما الأفضل أن تحذرها بأنك الآن رجل متزوج، اسمياً على الأقل. بإمكانها أن تتصل بك في المكتب. أنا متأكدة من أن سكرتيرتك معتادة على هذا النوع من المكالمات.»

خيم صمت طويل منذراً بسوء. عندما تكلم كان صوته بارداً: «كيف تجرئين على التكلم معي بهذه الطريقة؟»

«وكيف تتوقع مني أن أتصرف مع نسائك؟» قالت فيليبا متحدية، ولكنها شعرت بالخوف فجأة، وتمنت لو أنها لم

تستعجل ذكر ذلك. لكنها لا تستطيع أن تتراجع عن كلامها الآن: «من الواضح أنها تنتظرك، لذلك لن أضيع المزيد من وقتك.»

«عندما أريد أن أعرف رأيك في حياتي الخاصة سأطلب ذلك بنفسي، يا زوجتي.» قال بتوتر شديد: «على كل حال، لا أنوي أن أمضي هذه الليلة في أي مكان آخر سوى هنا.»

خيم صمت آخر عميق. أخذت فيليبا نفساً عميقاً. «عندما تقول هنا، أتمنى أنك لا تعني...»

منحها ابتسامة قاسية ومختصرة. «أعني تماماً كما تفكرين، يا جميلتي.»

«لا... آه، لا!» تراجعت خطوة ثانية بعيداً عنه. «لقد وعدتني...»

«اسمعيني جيداً، لقد أخبرت عمي هذا الصباح بزواجنا. عندما نجح في التغلب على كدره، أصر عليّ أن نتناول العشاء معه غداً مساء... حتى يتعرف وعائلته إليك، لم أستطع الرفض يا فيليبا.»

«لكنه لا يستطيع ذلك!» رمقته بنظرة توسل. «أرجوك... يجب أن نتجنب هذه الدعوة. لست مستعدة، لمواجهة أحد بعد.»

«هذا ما أحاول قوله.» تشدق آلان في الكلام: «إنهم يتوقعون، عمي وزوجته وابنة عمي سيدوني أن يتعرفوا إلى زوجتي الحبيبة، ليس إلى عذراء مذعورة. علينا أن نقدم لهم زواجاً طبيعياً، هل بدأت تدركين الضرورة؟»

«كلا، لا أستطيع مقابلتهم بعد. عليك أن تفكر بعذر ما.» قالت بصوت أجش.

www.rewity.com/vb

وضع آلان كأسه على الطاولة. تفحصت عيناه الخضراوان وجهها، وجسدها وبطريقة جعلتها تشعر كأنها عارية. «عليّ أن أجد طريقة لإقناعك.»

«أخرج من غرفتي.» ضعف صوتها: «لا تقترب مني... وإلا ملأت البيت صراخاً!»

«حقاً؟» رفع حاجبيه بسخرية. «ومن سيسمعك... أو يهتم بك؟ لقد دُرب آل جيسكار جيداً على عدم التدخل.»

«أيها... الوغد!»

«لن تنفعك هذه الأسماء في شيء. لدينا صفقة، أنت وأنا. ولقد أنجزت بسخاء من جهتي على الأقل، وساستمر في ذلك ما دمت أتلقى سخاء... مماثلاً منك، يا عزيزتي.» أشار إليها. «تعالي إليّ.»

«عندما أراك في الجحيم أولاً! لقد وعدتني... وكذبت عليّ.» كان الخوف يسيطر عليها، وأحست به يطبق على حلقها. «لا تستطيع أن تفعل ذلك! إنك حتى لا تريدني...»

«وما أدراك بالرغبة، يا صغيرتي البريئة؟» قال آلان بلطف.

«أعرف أنني لا أريدك.»

تجمد كلامها في الهواء. رمقها بنظرة طويلة، وأخذ صديري بدلته من دون تردد، ورماه على الأرض.

راقبته وهي تتنفس بصعوبة. لاحظ آلان الاضطراب البادي في عينيها. «هل أجعلك تتوسلين حتى تكوني ملكي؟» قال بتهذيب ساخر.

صرخت فيليبا كحيوان مطارد ورمت الشراب على وجهه.

تجمد في مكانه للحظة، ثم أمسك بقميصه ليزيل السائل من على وجهه وصدره، وعيناه لم تفارقا عينيها.

«عليك أن تظهري احتراماً للشراب، واحتراماً أكبر لي يا جميلتي. مع أنني سأضطر إلى تلقينك درساً.»

وقع الكأس من يدها المرتجفة وتدحرج على السجادة الكبيرة وهو يقترب منها.

حين عانقها سابقاً كان ناعماً معها. لم تستعد أبداً... لهجوم كهذا. حاولت أن تبعد رأسها، لتتخلص من ضغطه الخانق، لكنه لم يسمح لها بذلك. لاجدوى من محاربته. كان خبيراً ومصمماً على نحو خطر. أثارتها قوته البدنية ومداعباته الوقحة.

استطاعت أن تعي في خلال لحظات قليلة أنه يبرهن بالحاح مخيف وبسرعة على معنى الرغبة، وما تتطلبه منها قبل أن تنتهي هذه الليلة.

لقد كذب عليها، وخالف وعده، ولن تسامحه على ذلك. إذا أرادها عليه أن يتملكها بالقوة. قالت لنفسها بشجاعة. لأنها لن تستسلم له مهما كلفها ذلك.

«يا إلهي.» قالت وهي تلهث: «اطفيء الأنوار على الأقل.»

«كلا.» أدار رأسها نحوه بلطف لكن بتصميم. «أريد أن أرى ما اشتراه مالي.»

أغمضت عينيها وأسنانها تنغرز في شفتها السفلى وهو يتفحصها بدقة.

«من أنت خائفة؟» سألها أخيراً.

«لست خائفة... إنني مشمئزة. أعتقد بأنني أستطيع أن أثق بك، لكنك كذبت عليّ.»

www.rewity.com/vb

ضحك بنعومة. «والآن سأطارحك الغرام، يا صغيرتي. لمَ لا تتوقفي قليلاً عن محاربتي بعقلك العنيد، وتتمالكي نفسك؟ من يدري؟ ربما ستتفاجئين.»

«بما أنني أهنت وخُدعت بقسوة.» قالت بغضب.

«تعتبرين وجودي معك إهانة؟» بدا صوته بارداً. «أقدم لك أسفي الشديد، يا مدام. لكن هذا لن يغير شيئاً. بإمكانك أن تتصرفي كطفلة، لكن الليلة ساعلمك معنى أن تكوني امرأة. ستجدين الأمر سهلاً إذا عملت عن كرهي.» أضاف بطريقة جافة.

«لن أغفر لك أبداً!» قالت بحدة.

تلألأت أسنانه، وهو يتظاهر بالتبسم. «كما تريدين.» بدأ بعناقها ثانية.

لن أتحمل ذلك. فكرت فيليبا.

«افعل ما تشاء بي، ثم اتركني بسلام.»

«في الأحلام، يا حبيبتي. ألا يمكن أن نقوم بتسوية؟» بدا صوته دافئاً، وكأنه يحاول تلطيف الجو.

وجدت فيليبا نفسها ترتعد فجأة، وترغب في التجاوب معه بالطريقة التي يريدها.

رفعت رموشها قليلاً، ونظرت إلى وجهه لترى نشوة الإنتصار في عينيه الخضراوين، عندما لاحظ صراعها الداخلي.

كان تعبير رجل، معتاد على امتلاك النساء. هذا المغرور المتكبر لا يريد أن يفشل مع عروس صفقته.

استطاعت أن تحرر يدها منه ثم صفعته بقوة على وجهه.

وبدأت تحاربه بشدة، وهي تعارك للتحرر منه ويداها تضربانه وأظافرها تشد على كتفيه وصدره.

«فيليبا.» كان صوته ينم عن الغضب. «بحق السماء، لا! ليس هكذا، توقفي، كفى ذلك.»

«أكرهك، وساكرهك دائماً.» قالت بصوت خفيض.

«وساساعدك على ذلك.»

أغمضت عينيها بشدة لتمنع سقوط دموعها.

حاولت أن تتذكر أي شيء تعلمته في المدرسة، أو حصل معها في البيت حتى يبعدها عن التفكير بالآن وبقوته.

أخيراً بعد أن تأكدت بأنه نائم حاولت أن تنسحب ببطء.

وبسرعة أمسك الآن ذراعيها. «ماذا تفعلين؟»

«أريد أن أذهب إلى الحمام.»

أسند الآن رأسه على مرفق واحد ثم تفحصها. بدا وجهه ساخراً وبارداً.

«لماذا؟ حتى تمحي أثري عليك؟»

«نعم.» عضت فيليبا شفتها.

«اتساءل إذا كان بمقدورك ذلك. ربما لا أريدك يا عروستي الحلوة أن تتركيني بهذه السرعة. قد أريدك بعد لحظات قليلة.»

حدقت إلى وجهه الداكن، وعيناها تتسعان من هول المفاجأة ثم ضحك بقوة.

«ربما، لن أريدك ثانية.» قال وهو يرفع نفسه بعيداً عنها.

انزلقت فيليبا من السرير، شدت ثوب نومها ثم ارتدته بسرعة. كانت ترتجف بقوة، وجسدها يؤلمها بطريقة غريبة.

www.rewity.com

أحست بنظرات آلان تلاحقها وهي تتجه إلى الحمام، وكانت خائفة من أن يحاول... الاقتراب منها مرة ثانية.

ولحسن حظها كان الباب يثبت بالرتاج، أحكمت إغلاقه غير آبهة إذا كان قد سمعه أم لا.

خلعت ثوبها، رمته على الأرض بغضب، ثم أدارت مقبض صبورة الماء لتغسل كل شبر من جسدها.

لفت نفسها بمنشفة وهي تحدق إلى المرآة.

بدت كهرة خائفة بشعرها المبلل والملتصق برأسها، وبعينين كبيرتين تبرزان وجهها الشاحب. رفعت طرف المنشفة لتمسح الماء من على وجهها وعنقها، وهي تراقب نفسها بحذر، وكأنها خائفة من أن تنهار إذا شدت بقوة. لقد سمعت، وربما قرأت في مكان ما أن معرفة المرأة تبرز من عينيها. لكنها لم ترَ سوى الاضطراب والألم.

تنهدت وهي تلاحظ آثاراً على كتفيها قد تتحول كدمات زرقاء غداً.

لن يحصل هذا مرة ثانية. فكرت، وهي ترفع ذقنها متحدية. من الآن وصاعداً، لن تسمح لأحد بجرحها أو بإهانتها. لقد أصبحت الآن زوجة لآلان دي كورسي، من دون إرادتها بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. عرفت الآن أسوأ ما قد يحصل لها، والله يعلم ماذا سيفعل في المستقبل...

لن يقول أحد بعد اليوم بأنها عذراء.

لقد مضى وقت طويل قبل أن تجبر نفسها على العودة إلى غرفة النوم، ولكن عندما فعلت كان آلان قد خرج منها. وقفت للحظة وهي تحملق بالسرير الفارغ الجميل، بأغطيته

وأوسدته المبعثرة. ثم دست نفسها تحت الملاءة حتى عنقها. أطفأت النور، ثم لفت نفسها بوضع دفاعي وذراعاها تطوقان جسدها.

زاد الألم في داخلها لكن ماذا عليها أن تتوقع غير ذلك؟ فكرت بمرارة.

لقد اعتدى عليها.

عضت شفتها السفلى حتى سال الدم منها. كل السحر... والاعتبارات التي أظهرها آلان لم تكن سوى مظهر كاذب. لست وحشاً، هذا ما قاله لها في لاودن. لكنه كذب. وهو أسوأ من ذلك. كان... حيواناً.

وأنت؟ قال صوت في داخلها. ماذا عنك؟ لقد رميت الشراب على وجهه، ضربته، وحاولت خدشه بأظافرك. هل من المفروض أن تتساءلي عن تصرفه الوحشي؟ أنت أيضاً كنت غاضبة، ليس منه بل من نفسك، لأنك كنت تتمتعين بما كان يفعله بك ـ أنت التي رغبت فيه ـ لكن كبرياءك منعتك من ذلك. حاربته بدل ذلك، وخسرت.

تحركت فيليبا بتململ في السرير ورأسها يتقلب على الوسادة. حاولت أن تمنع نفسها من التفكير في الآن... لكنها لم تقدر.

كلا، لم يكن الوضع كذلك. كان حقيراً... لقد أجبرني. إني أكرهه.

بتاوه، انقلبت على معدتها، لتدفن وجهها في الوسادة. اللعنة عليه. صرخت بصمت. لعنة الله عليه!

مرت ساعات قبل أن تغرق في نوم عميق. عندما

www.rewity.com/vb

استيقظت كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحاً.

فتح باب غرفتها، وهي تحاول الجلوس. وكما كان مفترضاً ظهرت مدام جيسكار بصينية الفطور.

«ميرسي.» قالت فيليبا بالفرنسية، وهي تشد الغطاء عليها لتحجب جسدها عنها: «إنني آسفة إذا سببت لك أي إزعاج.»

رمقتها مديرة المنزل بنظرة ذهول مهنية. «أنا في خدمتك، يا مدام.»

توجهت نحو خزانة الثياب واختارت رداء ثم أحضرته إليها بوجه خالٍ من أي تعبير.

«ترك مسيو دي كورسي البيت منذ بضع ساعات، مدام. وقد طلب مني أن أخبرك بأنه سيتناول الغداء معك.»

شكرتها فيليبا مرة ثانية بهدوء، والدم يتدفق إلى وجهها، وهي تراقبها تخرج من الغرفة.

إن تصرف هذه المرأة يشير إلى أنها معتادة تقديم الفطور لفتيات آلان دي كورسي الجميلات. وحقيقة أنه متزوج شرعياً لم يغير شيئاً.

شربت فيليبا عصير الدراقن، ثم تذوقت شراب الشوكولا الساخن، وفطيرة كانت مغلفة بمحرمة، من دون أية شهية.

خلال ساعات الاستيقاظ قبل الفجر وبعد تفكير طويل، تأكدت من أنها أوقعت نفسها في فخ، وعليها أن تتحمل وحدها مسؤولية ذلك. مهما يكن زواجها مشؤوماً، فهي لا تستطيع التراجع الآن مع أن كل عصب فيها يحثها على ذلك. لكن المال سيتوقف عن كيڤين. أفهمها آلان ذلك بوضوح الليلة السابقة. إذاً عليها أن تتخطى الأيام... وتتحمل الليالي بطريقة ما.

استحمت بسرعة ثم ارتدت تنورة خمرية اللون وقميصاً ملائماً. كانت ما تزال شاحبة اللون، وتحيط عينيها دوائر سوداء، لكنها لم تحاول إخفاءها بأدوات الزينة. بدت كأي فتاة بعد ليلة زفافها... ما عدا أن معظم العرائس متألقات وربما متعبات.

كان صباحاً طويلاً. اكتشفت فيليبا بأن الوقت يمر بسرعة في محيطها الجديد، ولا يحتاج إلى تدخل منها. كانت متأكدة من أن مدام جيسكار سترفض أي مساعدة تقدمها لها.

تجولت في الشقة بقلق وبتوتر، على الرغم من المناظر الخلابة المطلة على باريس من خلال النوافذ والتي لم تلاحظها ليلة البارحة، وجدتها عادية جداً وتساءلت إذا كانت ستشعر يوماً بالراحة هنا.

لكنها لن تمضي بقية حياتها وهي تحدق إلى هذه المناظر. يجب أن تشغل نفسها بطريقة ما حتى لا تفكر بآلان.

عندما اقترب موعد الغداء، ازداد توترها. جعلها صوت آلان في الرواق تخطو بسرعة إلى أحد مقاعد غرفة الصالون. أثنت قدميها على المقعد، وتظاهرت بقراءة مجلة، وهي تأمل أن تبدو هادئة ومسترخية.

سمعت خطواته تقترب منها، وثبتت نظرها على الصورة الموضوعة في حضنها حتى شعرت بأنها تتراقص أمامها بجنون.

«بونجور.» اضطرت لأن تنظر إليه، عندما حطم آلان الصمت. بادلته التحية، وانزعجت عندما وجدت نفسها تتلعثم.

www.rewity.com/vb

«كيف كان صباحك؟» جلس بقربها على الأريكة المخملية لكن من دون أن يلمسها.

«ممتاز... وأنت؟» تساءلت بشكل هستيري، هل هكذا ستكون اللعبة، ثرثرة لا قيمة لها؟

«مشغول.» توقف قليلاً. «هل أحضر لك شيئاً؟»

«عصير الإجاص... إذا أمكن.»

«ستجدين كل ما تطلبينه.» قال بتهذيب.

جلست فيليبا وهي تحكم قبضتها على الكأس الذي أحضره لها. صبّ لنفسه كأساً من الشراب، قبل أن يستعيد مكانه قربها وبحذر.

قال بعد صمتٍ طويل: «بالنسبة لليلة البارحة...»

«الأفضل أن نتجنب الموضوع.»

«أعتقد هذا ضرورياً.» كان اعتراضه لطيفاً ولكنه عنيد.

«تصرفي لا يغتفر أبداً. لا أستطيع سوى أن أقدم أسفي الشديد.»

كان تعبير وجهه بارداً كصوته. لاحظت أن هناك علامة على خده نتيجة غرز أحد أظافرها، عندما اختلست النظر إليه من تحت رموشها.

«حقاً لا يهم. أنا زوجتك، وكان عليّ أن أتوقع... شيئاً من هذا القبيل.» أخذت نفساً عميقاً. «قلت إنك تريد وريثاً. حسناً، ربما حصل ذلك ـ وستتمكن عندئذٍ ـ من تركي وحيدة في المستقبل.»

قال آلان باقتضاب: «أشك، يا زوجتي، في أن تسير الأمور بشكل مريح. على كل حال، لنأمل أن تكوني على حق.» ارتشف بقية مشروبه، ثم جلس للحظة وهو

كان وجهه خالياً من أي تعبير، لكن فيليبا لاحظت فجأة وبخوف غضباً في عينيه يفوق كل ما خبرته البارحة ـ حنقاً يكاد يكون ملموساً. كان يخالجها شعور غريب، كأن قطعة الكريستال الناعمة التي في يده ستتحطم في أي لحظة على الموقد، وتنثر شظاياها البراقة في كل أنحاء الغرفة.

أصدرت صوتاً خفيفاً، ثم رفعت يدها عفوياً لتمسك ذراعه. فرمقها بنظرة، وشعرت بالتوتر يُخمد بينهما تماماً وبسرعة، كأن سلكاً كهربائياً قد فصل.

وضع آلان كأسه على الطاولة، ثم وقف. ابتسم لها من دون أن ينظر إليها. «إني جائع، هل نذهب لتناول الطعام الآن؟»

أومأت برأسها من دون كلام. تركا الغرفة وعبرا الرواق إلى غرفة الطعام، في الوقت الذي أحضرت فيه مدام جيسكار الحساء.

أكملت الوجبة بصمتٍ تام. راقبت آلان خفية عبر الزهور المنعكسة من خلال بريق الطاولة المصقولة. لقد اكتشفت ليلة البارحة، كم يمكنه أن يكون قاسياً، وعلى حساب كرامتها. لقد عرفت الآن أن طبعه حاد أيضاً. تساءلت عما ستتكشف عنه الأسابيع والأشهر... أو حتى السنوات القادمة.

ثم أضاف: «لم تأكلي شيئاً. ألم يعجبك الطعام؟»

«آه، كلا، إنه رائع. إني متعبة فقط...» توقفت فجأة، وهي تشعر بتورد خديها، وتتوقع رداً ساخراً منه.

لكن كل ما قاله: «خذي قسطاً من الراحة بعد الظهر. عليك أن تبدي متألقة في السهرة، تذكري ذلك.»

www.rewity.com/vb

حافظت على ثبات صوتها: «من الصعب أن أنسى في هذه الظروف.»

«هذا صحيح. لسوء الحظ ليلة البارحة لم تكن رائعة... لكلينا.» كانت ابتسامته مختصرة ومشدودة. «سأحاول التصرف بلباقة أكثر لاحقاً. لا عليك أن تخافي وجودي عندما نعود. أعدك بأن أتركك في سلام.»

«شكراً.» ردّت بشيء من التردد.

«ليس عليك انتظاري، إذا أنهيت طعامك. لم لا تأخذي قيلولة؟»

دفعت بكرسيها إلى الوراء، وهي تتمتم شيئاً لا علاقة له بحديثهما.

أغلقت باب غرفتها وأسندت نفسها إليه، وهي تحملق في السرير، مدركة لهائها وكأنها في سباق ماراتون.

إنها في أمان الليلة، لكن هذه ضمانة مؤقتة. عاجلاً أم آجلاً سيفتح باب الغرفة، وسيتوقع منها استسلاماً تاماً له... وستسمح لنفسها بأن تُستغل، لأنها اشتريت ودُفع ثمنها، وهو يريدها مقابل ماله.

اغرورقت الدموع في عينيها، وشعرت بتقلص في حلقها.

«لا أعتقد أنني أستطيع تحمل ذلك.» قالت بصوت عالٍ للفراغ الذي يسود الغرفة.

لقد عرفت قبل أن يتلاشى صوتها أن الخيار ليس في يدها.

الفصل الرابع

كانت فيليبا تلهث بتوتر، وهي تجلس إلى جانب آلان في تلك الأمسية في سيارة الليموزين، التي انطلقت بهما بسرعة مفرطة عبر شوارع باريس إلى ضواحي المدينة، حيث يعيش لويس دي كورسي مع عائلته.

كان البيت متوارياً وراء جدار عالٍ. استطاعت فيليبا أن ترى بعض قمم المداخن القبيحة، وهما ينتظران الأبواب الالكترونية حتى تمنحهما اشارة الدخول.

«لدى عمي هوس من اللصوص.» تمتم آلان في أذنها: «يشعر أنه إذا لم يكن حذراً حتى ولو لدقيقة، سيقتحم اللصوص منزله ويسرقون مجموعة خزفه الصينية العديمة الذوق، أو يعتدون على ابنة عمي سيدوني. أعتقد أنه يغالي في تقدير نوع كهذا من الرجال.»

لم تضحك فيليبا. مسّدت ثنية تنورتها الخضراء المزرقة والقصيرة بيد مرتعشة. تميز أعلى فستانها الحريري بعنق دائري وبكمين طويلين، وتمنت أن يناسب فستانها هذه الأمسية بشكل كاف. كان ارتداء ملابس هذه الأمسية غير المرغوب فيها بمثابة ارتداء زي مسرحي حيث كانت هي الممثلة البديلة، ومع ذلك متوقع منها تأدية دور الشخصية الرئيسية.

الثياب مناسبة، فكرت فيليبا، بينما كانت السيارة

www.rewity.com/vb

تسير على الطريق الخاصة بين مشاتل الزهور. أما الفتاة التي ترتديها فلا.

بدا البيت المربع الشكل، جامداً ومملاً. كان هناك عدد كبير من السيارات المصطفة إلى جانب الطريق الخاصة. أحست فيليبا بانزعاج آلان الذي كان يشتم في سره.

«يا له من عشاء عائلي هادىء!» قال بتوتر، ثم نظر إلى فيليبا وهو يهز كتفيه: «إني آسف، لم أنو أن أخضعك لعناسبة كهذه بهذه السرعة.»

رفعت فيليبا ذقنها: «لن أتكلم إلا عند الضرورة ولن استعمل إلا السكاكين المناسبة.» أكدت له بفظاظة.

«أنت تعرفين جيداً أنني لم أقصد ذلك.»

فتح الباب خادم في سترة بيضاء، حياهما بطريقة جليلة وأخبرهما أن السيد دي كورسي وزوجته ينتظرانهما في غرفة الاستقبال.

«هل نحن آخر من وصل يا غاستون؟» رتب آلان ربطة عنقه للمرة الأخيرة.

«على الاطلاق، يا مسيو.» أكد له غاستون، وهو يقودهما عبر رواق مزخرف بانقان.

شبك آلان أصابع فيليبا الباردة بأصابعه. «تشجعي، يا جميلتي.» همس لها عندما فتح غاستون باب الصالون المزدوج وأعلن عن قدومهما.

تجمدت كل الأحاديث في الغرفة على نحو مفاجىء. وأصبحت فيليبا قبلة أنظار الجميع. سوت كتفيها وهي تشعر بتورد وجنتيها. لاحظت بعد أن ألقت نظرة ثانية

حولها، أن الغرفة تحتوي على أكثر من عشرين شخصاً، وأن أحدهم يتقدم نحوهما.

لويس دي كورسي رجل متين البنية متوسط الطول، أصلع بعض الشيء وله لحية أنيقة. ابتسم لهما من بعيد. بدت عيناه الداكنتان قاسيتين.

أحنى رأسه ليطبع قبلة على يد فيليبا. «ابنة أخي الجديدة، إني سعيد جداً بلقائك. ما كان يجب أن يخفيك عنا كل هذه المدة، أو على الأقل كان من المفروض أن يوجه لنا دعوة لحضور زفافكما. كنت آخر من علم به... لن أسامحكما أبداً.»

شعرت فيليبا بالاحراج. لكن آلان قد سبق وحذرها من هذا التعليق.

«أجبرتنا صحة والدي الضعيفة على أن نجري الإحتفال بشكل هادىء وسري.»

«هادىء فعلاً. لم يكن لأي من أصدقائي في لندن أي فكرة عن هذا الزواج.» قال لويس دي كورسي وهو ما يزال يبتسم. استدار قليلاً ليشير إلى أحد الأشخاص بالقدوم: «جوزفين، اسمحي لي أن أقدم لك عروس آلان. سيدوني، تعالي ورحبي بابنة عمك.»

لم تبد مدام دي كورسي أي حماس بهذا اللقاء غير المتوقع. صافحت فيليبا بنفور ثم أخلت السبيل لابنتها.

فكرت فيليبا في البداية أن سيدوني دي كورسي هي تماماً كما وصفها آلان لها بفظاظة. بدت بشرتها شاحبة، ملطخة ببثور الشباب، وشعرها خشناً ومن دون لمعان. كانت بدينة أكثر مما ينبغي، وساعدها فستانها الأصفر

www.rewity.com/vb

الشاحب المفصل على حجم صدرها ووركيها في إبراز معالم جسمها. ابتسمت لفيليبا على نحو مقتضب، لكنها سرعان ما غيرت تعبير وجهها عندما استدارت نحو آلان.

«تبدو في حالة حسنة، يا ابن عمي.» بدا تورد وجنتيها غير لائق. «من الواضح أن الزواج يناسبك.»

يا إلهي. فكرت فيليبا أنها واقعة في حبه وتتألم كثيراً. لم أتوقع ذلك...

قاطعها لويس دي كورسي بلطف: «اسمح لي أن أقدم عروسك إلى باقي الضيوف، الذين أتوا خصيصاً للتهانينا. ومع ذلك هذا يوم عظيم لعائلتنا.»

وكابوس لي. فكرت فيليبا وهي تُقاد حول المجموعة. كان كل شيء رسمياً وعلى الأصل. ابتسمت للجميع بتهذيب حتى شعرت بألم في جوانب فمها. استهل لويس دي كورسي المقدمات بالإنكليزية. كانت مُدركة أنها تعامل باهتمام شديد، ولقد كرهت مجاملاتهم. كانت فرنسيتها التي اكتسبتها من خلال رحلاتها مع كيفين أشمل من معلومات تلميذة عادية. على كل حال، لقد استفادت كثيراً منها لأنها استطاعت أن تترجم لنفسها الهمسات التي لاحقتها في كل مكان. فهمت أنها «ـ صغيرة جداً ـ». وسمعت ثرثرة أكثر، مليئة بالحقد. «لن تتفوق على ماري لور، يا عزيزتي.»

وثب قلبها من مكانه لكنها أبقت على ابتسامتها. ماري لور. فكرت أنها من المحتمل أن تكون المرأة المتورطة، مع آلان. على الأقل، لديها الآن اسم ترفقه بذلك الصوت المثير على الهاتف.

كانت قد انتهت من جولة التعارف عندما فُتح الباب،

وأعلن غاستون عن وصول آخر المدعوين. رجل أشيب طويل له شارب عريض، وامرأة أصغر سناً، شقراء وجميلة جداً. أبرز فستانها، الأسود الحريري والغالي الثمن، مظهرها المثير.

«البارون رينيه سومرفيل وزوجته البارونة ماري لور سومرفيل.»

لم تكن الغرفة فقط هادئة، لاحظت فيليبا. بل كانت مشحونة بالتوتر، وبنوع من الترقب المثير الذي كاد أن يكون ملموساً. كانت تشعر أن الجميع يحبسون أنفاسهم. نظرت إلى آلان الذي كان يقف على مقربة منها بارتياب. فكرت للحظة أنه قد تصلب في مكانه. بدا شاحباً ومتورداً من شدة الغضب. بدأت تتساءل، وقلبها يخفق بسرعة.

أسرع لويس دي كورسي نحوهما وهو يبتسم بشدة ويداه ممتدتان للترحيب بهما. «آه، عزيزي، يا لها من متعة لأنك استطعت أنت وزوجتك الساحرة الإنضمام إلينا! هذه مناسبة مفرحة، أنت تفهمني. إننا نحتفل بزواج ابن أخي آلان من فتاة انكليزية صغيرة وفاتنة. اسمح لي أن أقدمها إليك.»

لاحظت فيليبا أن آلان صار إلى جانبها. أصبح وجهه جامداً، لكنها شعرت بغضبه الشديد عندما أمسك بيدها وقادها إلى الأمام.

هذه المرأة... هذه البارونة هي عشيقة آلان. هذه ماري لور. فكرت باشمئزاز.

لقد خطط عم آلان جيداً حتى يحرجهم جميعاً... دعا البارونة وزوجها إلى العشاء الليلة ليفرض هذه المواجهة، ولتنشط الشائعات ثانية، وليدمر حياة آلان كلياً.

www.rewity.com

كان البارون يسحب نفسه وهو يشعر بالإهانة، وملامح وجهه باردة كالجليد: «يا عزيزي دي كورسي، هذه مناسبة عائلية والأفضل ألا أتدخل أنا وزوجتي. اسمح لنا بالانسحاب كي نتفرغ كلياً... لاحتفالك.»

هذا ما أراده لويس دي كورسي تماماً، لاحظت فيليبا بسرعة. لقد هندس ببراعة حتى ينسحب البارون لشعوره بالاحراج، ليسبب فضيحة ثانية، تفنيها أخيرة جديدة يستغلها في اجتماع مجلس الشركة الطارئ.

تقدمت فيليبا نحوه قليلاً، ثم ابتسمت. قالت بفرنسية صحيحة: «أرجوك، لا تذهب يا مسيو. إني استمتع بوقتي كثيراً، وساشعر بالإنزعاج وبالذنب لو أن أحدهم ترك قبل الموعد المحدد.» جعلت صوتها يبدو مثيراً: «إلى جانب ذلك، هناك الشراب! بالتأكيد ستبقى وتشرب نخب سعادتي!»

توقف البارون قليلاً، ونظرته المحدقة ترفرف بين فيليبا وآلان. وأخيراً قال: «من يستطيع أن يقاوم هذه الدعوة الرائعة، يا مدام؟ سنبقى ونشرب نخب... صحتك، هيا ماري لور.» أمسك ذراع زوجته ثم قادها إلى الداخل.

عندما تجاوزتهم البارونة، أشتمت فيليبا رائحتها المسكية المثيرة ولاحظت أنها اختلست إليها نظرة سريعة شاملة تقييمية بعينيها البنفسجيتين. يبدو أن ماري لور سومرفيل تشارك الرأي الاجماعي، وهو أن فيليبا لا يمكن أن تتفوق عليها.

أحست فيليبا بالغضب يسري في عروقها، وبشيء آخر لم تستطع تحديده، من المحتمل أن آلان قد ناقش زواجه مع عشيقته وأخبرها عن الاتفاقية. لكن هذا لا يعني أنها

استحقت احتقار المرأة الأخرى، حدثت نفسها بقساوة. من هي ماري لور حتى تنتقدها... أو تحاكمها؟ وعلى أي أساس تزوجت هذا البارون الذي هو بعمر والدها؟

شعرت فيليبا بالارتياح عندما أعلن غاستون عن بدء العشاء. كانت وجبة مملة وطويلة. افترضت فيليبا أن الطعام شهي، لكنها لم تتذوق سوى القليل. أرادت أن تتحدث إلى آلان... لتقول له إن زواجهما الزائف لم يخدع أحداً حتى هذه اللحظة... لكنه كان جالساً إلى الطرف الآخر من الطاولة.

«أخبرينا، يا عزيزتي،» قالت جوزفين دي كورسي وهي تميل رأسها نحو فيليبا بعينين جامدتين كعدستين مصنوعتين من البلور الحجري: «أنت وآلان... قصتكما رومانسية جداً... وسريعة أيضاً! ومذهلة فعلاً. والسؤال الذي نود جميعاً طرحه... كيف التقيت بآلان؟»

أدركت فيليبا بحزن أنها كانت محط اهتمامهم مرة ثانية، فأجبرت نفسها على الابتسام: «هل هي فعلاً سريعة؟ أشعر وكأنني عرفت آلان دائماً. التقينا بواسطة والدي، كيڤين روسكو، رسام تميز بلوحاته الطبيعية. اشترى آلان إحدى لوحاته.... جسر مونتاسكو.»

خيم صمت عميق. اختلست فيليبا النظر إلى آلان الذي بدا منهمكاً بتقشير تفاحة.

«إذاً أنت ابنة فنان،» قال لويس دي كورسي أخيراً بمرح: «ربما ستزودينا ببعض من الثقافة الفنية المفقودة في عالمنا التجاري الجاف.» ضحك بحماس، وبتشجيع من بعض المدعوين: «هل تشاركينه اهتمامه في الرسم، يا عزيزتي؟»

www.rewity.com/ar

«اهتمامه، ربما، لكن القليل من موهبته مع أنني كنت تلميذة معهد فنون عندما قررنا أنا وآلان أن نتزوج.» أجابت فيليبا بهدوء: «في الواقع، إني أفكر بمتابعة دراستي في باريس مع... زاك غوردانو.»

«هذا رائع.» قال لويس دي كورسي ببطء: «لدى السيد غوردانو سمعة طيبة كمعلم.»

هزت فيليبا كتفيها بلا مبالاة: «أتمنى لو أستطيع إقناعه بقبولي كتلميذة عنده.»

«لا داعي للقلق بعد اليوم.» قالت سيدوني بفظاظة: «بصفتك مدام دي كورسي، ستنفتح كل الأبواب لك.»

«ليس مع زاك.» قالت فيليبا ببرود: «كل ما يهمه هو الرسم وليس المكانة الاجتماعية. ربما يساعدني كونه صديقاً لوالدي.» أضافت بصوت خافت وهي ترجع رأسها إلى الوراء.

«من الواضح، يا ابن أخي أن زوجتك صاحبة موهبة مهمة.» علّق لويس.

«كل يوم أمضيه معها يخبأ لي مفاجأة جديدة ومبهجة.» قال آلان بلطف.

رمقته فيليبا بنظرة مبهمة من تحت رموشها. لم يكن وجهه معبراً كثيراً، لكنها أحست بإعجابه بكلامها المندفع.

بعد انتهاء العشاء، تحولت الحفلة إلى الصالون. كانت الأحاديث متقطعة ومملة. بدا كل واحد منهم مقتنعاً بعدم حصول أي مفاجآت بخلاف ما توقعوا ووُعدوا. كان البارون وزوجته أول من غادرا، ولم يمض وقت طويل حتى أعلن آلان عن رغبته في الانسحاب.

«بهذه السرعة؟ هل مللتنا؟» سأل عمه.

«سازلنا، أنا وزوجتي في شهر العسل، أنا متأكد من أن الجميع سيتفهم وضعنا.»

بدأت فيليبا تشعر بالارتياح عندما وجدت نفسها في سيارة الليموزين وهي تنطلق بهما إلى الشقة.

«كانت أمسية مروعة.» قالت بانفعال.

«والتي عالجتها برباطة جأش. أرجوك تقبلي شكري.» توقف آلان قليلاً: «بالطبع فُهمتِ في الحال لماذا دعانا عمي الليلة؟»

«كان الأمر واضحاً.» أخذت فيليبا نفساً عميقاً آلم صدرها: «إنها جميلة جداً... مدام سومرفيل.»

«نعم.» لم تفهم فيليبا حقيقة شعوره ولم تستطع قراءة تعبير وجهه بدقة بسبب الظلمة. لم يضف شيئاً، وبعد دقيقة أو دقيقتين تنهدت فيليبا بصمت وأرخت نفسها كلياً على المقعد مستسلمة لرحلة صامتة.

عندما وصلا إلى الشقة استأذن آلان منها بتهذيب ليتحدث إلى آل جيسكار. توجهت فيليبا مباشرة إلى غرفتها لأنها أحست بصداع خلال الأمسية، لم تخفف رحلة العودة من حدته.

من الواضح أنه يفكر في تلك المرأة، اعترفت فيليبا لنفسها وهي تنزع الثياب عنها وتنظف وجهها من مستحضرات التجميل. لا بدّ أنه أحس بالاهانة عندما واجه عشيقته وزوجها، ولا بدّ أن رؤيته لها أنعشت ذكرياته، وزادت من مرارة انفصالهما القسري.

على حد علمها، لم يتبادلا أي نظرات، أو حتى كلمة

www.rewity.com/vb

واحدة، إلا إذا كانت لديهما طرقهما السرية والخاصة بالعشاق. من المحتمل أنهما ينويان المضي في علاقتهما في وقت ما في المستقبل.

لكن على آلان أن يكون حذراً، فكرت. البارون رجل غيور مرتاب ولن يتردد، إذا خرض، في الانتقام لنفسه علانية. وربما يكون انتقامه هذه المرة نهائياً.

من الآن وصاعداً على آلان أن يعالج أموره بنفسه. كل ما تريده الآن هو أن تتمدد على السرير وتغرق في نوم عميق. لم تكن قياولتها تلك النهار أكثر من نوم خفيف مقلق. قطعته بعض الأحلام المزعجة. لم تستطع أن تمنع ذكريات... وصور تلك الأمسية السابقة من تملك تفكيرها. أو ربما لم ترد فعلاً أن تنسى....

توردت وجنتاها وشعرت بقلبها يخفق بصوتٍ عالٍ. لا يمكن أن يكون الأمر كذلك، وبخت نفسها وهي تحل رباط جوربها. كل ما في الأمر أنها كانت تعبة ولا تقوى على أي تفكير منطقي.

كانت تقف في ثيابها الداخلية الحريرية، وبقدم واحدة على المِرْيَنة تحاول أن تنزع عنها جوربها الرقيق عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ودخل آلان.

توقف في الحال، رفع حاجبيه بإعجاب تام عندما لاحظ طريقتها في خلع الثياب.

«إني آسف.» تمتم وهو مدرك تماماً تطفله.

استعادت فيليبا توازنها بسرعة بعد أن أحست بلهيب يسري في عروقها. أخذت رداءً قطنياً شاحب اللون وثبتته حولها.

«هل كان من الضروري أن تقتحم غرفتي بهذا الشكل؟» سألت بامتعاض.

هز كتفيه بلا مبالاة: «لم أظن أنك ستبدأين بنزع ثيابك بهذه السرعة. وأريد أن أتحدث إليك. هل تنكرين عليّ حقي في ذلك؟»

«كلا.» قالت بصوت خفيض: «ألا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟ إني متعبة ومتوترة بعد هذه الأمسية...»

«إني أعتذر بالنيابة عن عمي.» كان صوته كئيباً: «سيذهب إلى أبعد الحدود، على ما يبدو حتى يحرجني ويشوه سمعتي. هذه المرة فقط وبفضلك أنت، لم تنجح خطته.»

«ربما ستنجح في المرة القادمة.» أخذت فيليبا الفرشاة وبدأت تسرح شعرها. لم تنظر إلى آلان. «لم نخدع أحداً بقصة زواجنا. الجميع يعرف أن علاقتك بالبارونة مستمرة.»

«يا لهم من أذكياء.» قال آلان بسخرية: «إذاً علينا أن نجد طريقة لاقناعهم بأنهم على خطأ.» علقت هذه الكلمات في الصمت الثقيل. ثم قال فجأة: «ماذا عنيت بمتابعة دراستك الفنية؟»

«تماماً كما قلت.» قررت ألا تخبره أنها فكرت بها عفو اللحظة. ليعتقد أنه قرار مدروس: «كان أبي دائماً يرغب في أن أدرس الرسم مع زاك غوردانو.»

«وماذا عن رغبتي أنا؟ ألم تأخذيها بعين الاعتبار أبداً؟»

«وما الذي سيزعجك لو أنني بدأت بالرسم ثانية؟» حدقت فيليبا إليه بعينين هادئتين.

www.rewity.com

«الأفضل أن... تؤجلي مشاريعك لفترة. حتى تتفرغي لدورك كزوجة لآلان دي كورسي، ربما؟»

توهج وجهها فجأة وسارعت تقول: «لا تكاد دراستي تملأ فراغي. وهناك من يدير الشقة، ولا أعتقد أن آل جيسكار سيرحبون بتدخلي.»

«لم أعن ذلك أبداً. هناك جوانب أخرى من علاقتنا بالاضافة إلى إدارة الشقة.»

كانت فيليبا صامتة لعدة دقائق ثم قالت بهدوء: «اعتقدت أنني تعلمت كل ما أحتاجه بالنسبة... لذلك أيضاً.»

«كلا، يا حبيبتي.» كان صوته ناعماً: «لا أعتقد أنك بهذه السذاجة.» تقدم نحوها ثم أخذ الفرشاة من يدها المرتعشة ووضعها على المنضدة. أطبق يديه على يديها وإبهامه يداعب معصمها على نحو عبثي: «المعاشرة فن أيضاً، يا زوجتي، ودروسك في الأمس لم تكن سوى البداية.»

كانت نبضاتها تصاب بالجنون فجأة فأخذت تتسارع بقوة، وكانت فيليبا تدرك كل نبضة منها.

أبعدت يدها عنه. «أعتقد أنك تمزج الحب بالمعاشرة، يا مسيو.» قالت بصوت أجش: «هل لي أن أذكرك بأنك وعدتني أن تتركني في سلام الليلة؟»

ابتسم لها. «لقد أسديت لي خدمة عظيمة اليوم، يا فيليبا، عندما أقنعت هنري بالبقاء. ألا تسمحين لي حتى أن أشكرك بعناق؟»

هزت رأسها. «لقد عقدنا صفقة.» قالت بجدية: «ولقد [illegible] على الأقل من ناحيتي أنا.»

قال بعد لحظة صمت: «كما تريدين. على كل حال، أتمنى عليك أن تعيدي النظر في مشاريعك الفنية.»

«كلا.» رفعت ذقنها تحدياً: «لقد قررت. إني بحاجة إلى أن تكون لي حياتي الخاصة. أنا لست سجينتك.»

«لا أظن أن هناك قفصاً يسعك... «تريدين أن تتحدي رغباتي؟» قال باقتضاب.

«إذا كانت غير منطقية كهذه... حتماً.» توقفت برهة: «إني لا أتدخل... بهواياتك. أعتقد أن عليك منحي هذا الحق.»

خيم صمت آخر.

قال الآن ببطء: «أعتقد، أنه كان علي أن آخذ منك عهداً بالاطاعة.»

«كنت سأرفضه.» قالت على نحو حاسم.

«حسناً، إني موافق، يا زوجتي، بشرط ألا تسمحي لفنك أن يؤثر على واجباتك الاجتماعية. سأقيم بعض الحفلات في الأسبوع القادم على شرف أعضاء مجلس شركة دي كورسي، وأتوقع منك مساندتي، يا زوجتي المخلصة والمجتهدة.» أضاف بسخرية: «هل أوضحت ذلك بشكل كاف؟»

«تماماً، لن أخذلك.» قالت وهي تومىء برأسها.

«أعرف ذلك، يجب أن نقنع الجميع بزواجنا.» بدا صوته عميقاً، وعيناه الخضراوان تتفحصانها من رأسها حتى أخمص قدميها بتقييم حسي. رفع يده وداعب ذقنها، ثم أبعد شعرها عن وجهها، وقال بهدوء: «هل أنت متأكدة، يا حبيبتي، من أنك [illegible] أن تمضي الليلة [illegible]؟»

www.rewity.com/vb

حاولت أن تتكلم، لكن بدا عقلها وكأنه توقف عن العمل. كان قريباً جداً منها، فكرت وهي شبه مخدّرة. كان في صوته رنة تختلف عن الطريقة التي كان ينظر بها إليها، الابتسامة في عينيه،...

شعرت بإثارة غير مألوفة، جمّدت شفتيها وهزت كيانها. وجدت نفسها تتساءل بجنون، كيف سيكون الأمر لو أنها استسلمت له بملء إرادتها... ومنحته من دون قيود كل ما يطلبه منها. وفي المقابل ستعرف كل شيء... كما عرفت ماري لور...

اجتاحتها هذه الفكرة كمطر غامر بارد نقلها من عالم الخيال إلى عالم الواقع، وهي تتذكر ما مر بها من أحداث اليوم.

إنه يريد ماري لور لا هي. لا بدّ أنه تألم كثيراً عندما رأى عشيقته، وها هو الآن يصب غضبه على الفتاة، التي جعلها شريكته في أسخف صفقة زواج. لأنها امرأته، ومتاحة له، وبإمكانه أن يستغلها لساعة أو لساعتين حتى يجد متعة حسية مؤقتة. هذا آخر ما تستطيع تحمله، وهي بحاجة لأن تتذكر ذلك.

أنا، فكرت فيليبا وهي ترتجف، ربما قد سمحت بذلك. ربما سمحت لفضولي أن يقودني إلى خيانة نفسي ومبادئي. لأنه بالنسبة لي قد لا ينتهي الأمر عند ذلك الحد. بدلاً من ذلك قد تكون بداية.

لم تستطع التفكير من شدة الخوف والرفض.

سمعت نفسها تقول بلطف وبحزم: «أتمنى أن تتركني في سلام كما وعدت. لست بديلة لعشيقتك، يا آلان.»

تجمد في مكانه، وهو ينظر إليها. بدا وجهه خالياً من أي تعبير.

«لست بحاجة إلى من يذكرني.» قال بقسوة: «كما أنك لا تشبهينها على الإطلاق.»

افترضت أنها استحقت تعبيره، لكن الألم سرى في جسدها على الرغم من ذلك. وجدها جذابة ليلة البارحة، ولكن بمقارنتها مع جمال ماري لور المدمر، ليس لديها الكثير لتقدمه له، ما عدا ربما بعض القيم الشخصية.

«قبل أن أتركك لعزلتك، يا زوجتي العزيزة، يجب أن أخبرك عن السبب الذي دعاني إلى المجيء إلى هنا. لقد اتصلت بالعيادة لأطمئن على صحة والدك. لا يستطيع الأطباء أن يؤكدوا فعالية العلاج في الوقت الحاضر، ولكنهم يودون أن تعرفي أنهم متفائلون.»

حدقت فيليبا إلى السجادة، وعيناها تترقرقان بالدموع. «شكراً.» كان صوتها لطيفاً.

«لا شكر على الواجب.» قال آلان بتهذيب: «من المفيد أن نتذكر تماماً لماذا نحن هنا في هذه اللحظة. وسيكون الأمر سخيفاً إذا توقعنا من بعضنا البعض أكثر مما يمليه اتفاقنا علينا.»

«سخيف جداً.» حاولت أن تبقي صوتها جامداً.

«إذاً كل واحد منا يعرف حدوده.» شعرت بالخوف يسري في عروقها. «لكن افهمي هذا، صفقتنا ستستمر. عليك أن تحذري من مخالفة أوامري في المستقبل، لست بحاجة إلى أي تعهد شفهي حتى أجبرك على إطاعتي ولن أتردد في فرض ذلك في هذه الغرفة أو حتى أمام الناس

www.rewity.com/vb

إذا أعتقدت أن الأمر ضروري. هناك الكثير من المخاطر.»

أسندت فيليبا نفسها على المزينة وأصابعها تمسك بحافتها المنحوتة بإحكام وقلبها يخفق بسرعة. «لن أنسى.» قالت على نحو فظ.

ابتسم لها آلان. «حسناً، إذاً أتمنى لك ليلة سعيدة.»

راقبته وهو يخرج من غرفتها ويغلق الباب وراءه.

لا، لن تنسى أبداً، فكرت. لقد مُنحت وقتاً إضافياً، هذا كل ما في الأمر. لا يمكنها أن تهرب من العقد الذي وقعته مع آلان دي كورسي. يجب أن تتحمل نتائجه أيضاً.

حدقت إلى السرير بجسد مرتعش.

الفصل الخامس

رجع زاك غوردانو إلى الوراء واضعاً يديه على وركيه. لم يقل شيئاً في البداية، حبست فيليبا أنفاسها عندما أومأ برأسه.

«لا بأس بها. إنها أفضل ما أنتجت حتى الآن.» ابتسمت فيليبا بفرح.

أشرقت ابتسامة فيليبا: «هذا ألطف كلام سمعته في حياتي.»

رفع زاك حاجبيه الكثيفين: «ولقد تزوجت فقط... من شهر؟»

«ستة أسابيع.» صححت فيليبا، وبدا تعبيرها فجأة جافاً.

«فترة طويلة؟» قال زاك بسخرية: «يا إلهي، لا عجب أن شهر العسل والكلام الجميل قد انتهيا!»

اضطرت أن تبتسم رغماً عنها! «نعم... حسناً، هل حقاً تعتقد أن عملي يتحسن؟»

«ربما.» توقف زاك وهو يفرك لحيته؛ تفحصت عيناه الداكنتان وجهها بدقة. «إني اسأل نفسي باستمرار... لماذا تريدين القيام بذلك؟ لا أعتقد أنك بحاجة إلى الرسم. أنتِ متزوجة من مليونير. وليس عندك أي مسؤوليات.»

www.rewity.com/vb

وردة قايين

نظرت فيليبا إلى اللوحة التي على المسند: «هل هذه مشكلة؟»

«لا بدّ أن هناك سراً... ماذا عساي أن أقول؟ أنت كتومة جداً... وهذا سيمنعك من الرسم بحرية. ما زلت في بداية الطريق. والأفضل لك أن تتراجعي قبل فوات الأوان. إذاً سأسألك ثانية... لماذا تهتمين؟»

بدت فيليبا منزعجة: «هل أنا أضيع وقتي... أم وقتك؟ هل هذا ما تحاول قوله؟»

«كلا، لو فكرت في ذلك، لكنت صارحتك من أول يوم بالحقيقة.»

بقيت فيليبا صامتة للحظة ثم قالت ببطء: «أعتقد أن هناك أسباباً عديدة. أريد أن أحقق ذاتي، وأن أثبت لآلان أن لي حياتي الخاصة. وهذا ليس بالأمر السهل.»

توقفت قليلاً ثم استطردت: «هناك والدي بالطبع. كان دائماً يشجعني على الرسم. عندما أكافح لمتابعة دراستي في الرسم هنا، أشعر وكأنني أساعده على محاربة مرضه في نيويورك. ألا يبدو هذا سخيفاً؟»

«أبداً، على الإطلاق.» قال لها بتهذيب: «ما هي آخر أخبار كيڤين؟»

عبست فيليبا. «يتحسن ببطء، إنني اتصل بالعيادة يوماً بعد يوم. لا يمكنهم التكهن في الوقت الحاضر بالاتجاه المحتمل الذي سيتخذه هذا المرض، لكن كل شيء يسير على ما يرام من دون أي مضاعفات. ما زلت أعيش في الأمل.»

«أتمنى له الشفاء العاجل.» ربت زاك على كتفها: «أخبريني، مدام دي كورسي، ما رأي كيڤين بزوج ابنته؟»

بلعت فيليبا ريقها بصعوبة: «في الحقيقة، هما لا يعرفان بعضهما البعض جيداً.» راوغت فيليبا في إجابتها.

هز زاك رأسه: «أرغب يوماً ما أن أسمع قصة زواجك، وكذلك سيلفيا. تقول إن في عينيك حزناً عميقاً بالنسبة لعروس، مع أن زوجك رجل جذاب جداً، وترغبه النساء كثيراً. هذا ما تقوله سيلفيا.»

هزت فيليبا كتفيها من دون مبالاة. «أعتقد أنه يجب على معظم الزيجات أن تمر في فترة تعديل.»

«فهل هذا ينطبق عليك؟»

«أعتقد ذلك. أخبر سيلفيا بألا تقلق عليّ.»

«سأفعل، وفي الوقت نفسه، سأقول للشمس بألا تشرق غداً.» توقف زاك ثانية ثم استطرد: «بما أننا نتحدث عن زوجتي، لقد وعدتني أن تحضر لي الليلة حساء السمك. وتقول إنه سيكفينا نحن الثلاثة.»

«آه، لا أستطيع.» هزت فيليبا رأسها بأسف: «عليّ أن أذهب إلى حفلة عشاء أخرى مع أنني أفضل أن أبقى معكما.»

«ربما في وقتٍ آخر.» قال زاك: «سأراك غداً، يا عزيزتي.»

كانت فيليبا مستغرقة في تفكير عميق وهي تنزل الدرج الذي يفصل المحترف عن الشارع ببطء. كانت ترى أن عملها ما زال في طور التجربة. تساءلت عما إذا كان موقف آلان قد أثر عليها. فعدم موافقته على قرارها بدا واضحاً وحازماً.

مع ذلك ليس بمقدوره أن يتذمر. وخاصة أنها تلتزم

www.rewity.com/vb

بالاتفاقية دائماً وهي حاضرة عندما يحتاج إليها. لقد بدأت تتغلب على خجلها وتأخذ كامل حريتها في الكلام. لقد لعب آلان دوره أيضاً ببراعة... لا تستطيع أن تنكر ذلك. كان متنبهاً ومحباً، كل كلمة وكل حركة عبرتا عن افتخاره بها كزوجة.

اعتادت أن تسمعهم يقولون: «فاتنة.» فلا أحد، على حد علمها، حاول أن يقارنها بامرأة أخرى. وبهذه الطريقة، كان لديه على الأقل سبب حتى يرضى عنها.

عضت شفتها. لكن هذا لم يكن بالطبع أساس المشكلة. لكان اعتُبر زواجهما ناجحاً، لو أنه يستمر فقط أمام الناس. ولكن الوضع يسوء عندما يصبحان بمفردهما. لم يتشاجرا أو يقوما بأي شيء من ذلك، اعترفت بحزن. تمنت لو أنه حصل بينهما بعض الخلافات. كانت في الواقع تجد نفسها أحياناً تُحرض آلان عمداً، حتى تحصل منه على ردة فعل. لكن من دون فائدة.

كان دائماً لطيفاً معها، وحتى ساحراً بطريقة متحفظة. لم يغير تصرفه المهذّب إلا في المناسبات النادرة عندما كان يزورها في غرفة النوم.

شعرت بتوهج وجهها. لم ترغب فعلاً في أن تفكر في هذه اللقاءات المحرجة والمختصرة في الظلمة والتي اضطرت إلى أن تتحملها رغماً عنها.

فكرت أن عليها أن تكون شاكرة للتقدير الذي أظهره لها. على الأقل لم تكن هناك محاولات مزعجة لمراودتها! لكن الامتنان لم يكن الاحساس الوحيد الذي شعرت به وهي متشنجة ترتعش، كانت تشعر بحزن وبفراغ عميقين في كل مرة يتركها.

ربما لديه حق شرعي بما يفعل، لكن هذا لا يعني أنها مجبرة على أن تحب ذلك. استطاعت أن تقيم لنفسها حاجزاً ساعدها... على مقاومة جاذبيته المدمرة والذي ما يزال يعذبها. لن تتحمل استسلامها له ولو للحظة. عرفت ذلك لإحساسها الدائم بتوق غريب إليه، ولقد كرهت ضعفها تجاهه.

وما هو دور ماري لور سومرفيل في حياته؟ لا تستطيع سوى التكهن. بالتأكيد كانت هناك ليالٍ لم يعد فيها إلى الشقة. لم يقدم لها أي عذر، وهي لم تسأله. كان يعلم بالمخاطر الكامنة في علاقة كهذه.

أُجّل اجتماع المجلس الطارىء، والذي كان سيعقد للنظر في شأن آلان. وأُجبر لويس دي كورسي على الاعتراف بفشل حملته الهادفة إلى إزاحة آلان من منصبه كرئيس إدارة مجلس الشركة بعد أن أصبح رجلاً متزوجاً محترماً. لكن هذا لا يعني أنه توقف عن مراقبته والانتظار حتى يرتكب غلطة أو هفوة صغيرة. سيكون استئناف علاقته، مهما كانت سرية، بالبارونة الجميلة العذر الملائم الذي يبحث عنه عمه. فكرت فيليسيا وهي تعض شفتها. أما بالنسبة لها، رأيها الخاص في هذا الموضوع... حسناً، هذا الجانب من حياة آلان لا دخل لها فيه، أليس كذلك؟

السخرية في ذلك الأمر، هو الحسد العلني، الذي لمسته من معظم النساء. لقد تصورن أنها تعيش حياة مترفة سعيدة.

لو أنهنّ عرفن الحقيقة! فكرت، وهي تتنهد بضعف.

بدا الشارع مكتظاً بالناس على غير عادته. نظرت حولها ولفت نظرها شابان نحيلان شعرهما مزيّت ويرتديان ثياباً

www.rewity.com/vb

من الدنيم الأزرق. رفعها واحد منهما إلى الرصيف، بينما حاول الثاني خطف حقيبتها.

صرخت فيليبا، وهي تتشبث بالرباط، وتسمع في مكان ما قربها صوت رجل آخر.

أرخت فجأة قبضتها عن الحقيبة ورأت اللصين يختفيان كلياً في الشارع الثاني.

«هل أنت بخير، هيا آنسة؟» ساعدها الرجل بلطف على الوقوف، وجمع أغراضها المبعثرة على الرصيف.

«نعم، شكراً.» كانت ركبتا بنطالها الجينز ممزقتين، والدم يتدفق منهما. ستصبحان كدمتين غداً، فكرت وهي تسند نفسها إزاء الحائط وتحاول أن تستعيد أنفاسها وتلقي نظرة أولى على منقذها.

شاب جذاب شعره أسود. بدا قلقاً، على الرغم من ابتسامته وهو يناولها الحقيبة.

«لكنها كانت صدمة لك. هناك مقهى في آخر الشارع. ما رأيك في تناول فنجان قهوة أو... شراب. إني أصر.»

ارتاحت فيليبا عندما قدم لها ذراعه. لأنها كانت تشعر بألم في قدمها كلما تحركت. كان المقهى على بعد مئة متر. أجلسها إلى أول طاولة ثم استدعى الخادم بنقرة من أصابعه. أحضرت القهوة والشراب بسرعة فائقة.

«هذا أفضل؟» سألها وهي ترشف القهوة.

«بكثير. إني ممتنة لك، يا سيد...؟» ترددت فيليبا.

«فابريس دي ثيري، في خدمتك، يا آنسة.» كانت عيناه دافئتين، وتتغزلان بها بشكل مثير.

توردت وجنتاها: «في الواقع، مدام دي كورسي. فيليبا دي كورسي.»

بدا مندهشاً، ثم تحول تعبيره إلى أسف: «تبدين صغيرة جداً لتكوني امرأة متزوجة.» نظر إلى ثيابها.

«إني أدرس الرسم مع زاك غوردانو. كان الشارع دائماً هادئاً. لم أتصور أبداً...»

«بالطبع. ربما كانا يراقبانك... آملين مباغتتك.»

«إني أتساءل عن السبب.» قالت بصرامة: «ليس معي أي شيء له قيمة حقيقية في حقيبتي. إني لا أحمل سوى بضعة فرنكات.»

«عندما يكون الانسان مفلساً يجد بضعة فرنكات مبلغاً كبيراً.» ابتسم لها. «أخبريني عن رسمك.»

ازداد تورد وجنتيها. «إنه عمل مؤقت. فهل أنت تهتم بالرسم؟»

«إني أهتم بعدة أمور.» قال: «لكنني أعمل الآن في مجال المحاسبة.» أحنى رأسه إلى الأمام. «تبدين حزينة. هل تأذيت، ربما، أكثر مما قلتِ؟»

هزت فيليبا رأسها: «كلا... حسناً، لكن.. زوجي لم يوافق على فكرة الرسم، والآن بعد هذا الحادث سيصر عليّ أن استعمل السيارة مع السائق الخاص، وهذا سيحد من حريتي.»

«وهل يهمك ذلك؟»

«كثيراً.» وأجبرت نفسها على ابتسامة ندم. «لقد سرق اللصان أكثر مما لاحظا.» وضعت فنجان القهوة على الطاولة ثم نظرت إلى ساعتها. «يا إلهي! لقد تأخرت في الذهاب إلى البيت. يجب أن أجد سيارة أجرة...»

www.rewity.com.vb

«لدي سيارة، هل لي أن أوصلك إلى مكان ما؟»

ترددت فيليبا: «لا أحب أن أفرض نفسي... لقد كنت لطيفاً معي...».

«أي شخص كان فعل ذلك.» قال وهو يشير إلى الخادم ليحضر الفاتورة: «ما هو عنوانك؟»

رفع حاجبيه بسخرية بعد أن أخبرته: «إذاً أنت زوجة ذلك الرجل دي كورسي؟»

أومأت برأسها: «هل هذا يعني أنك غيرت رأيك؟»

«بالطبع لا، لكن زوجك على حق.» كان يعبس. «من الخطر أن تسيري في شوارع باريس من دون حماية. لكنني سآخذك إلى البيت مباشرة. ربما لن يغضب كثيراً.»

«علي أن أشكرك ثانية لإنقاذي.» قالت فيليبا عندما اقتربت سيارته من مبنى الشقة.

«هذا من دواعي سروري.» وتناول يدها، وطبع عليها قبلة. ابتسمت عيناه لها. «ما زلت أعتقد أنك صغيرة على الزواج.» تمتم: «إلى اللقاء، مدام دي كورسي.»

«إلى اللقاء، مسيو دي ثيبري.» شعرت فيليبا بلهاثها، وهي تترجل من السيارة. من الممتع أن يعامل المرء كشخص جذاب وليس كشخص مفيد فقط، فكرت وهي في المصعد. عندما وصلت إلى الباب، لاحظت بخوف أن المفاتيح ليست معها.

لابدّ أنها وقعت، ولقد افتقدتها عندما كنت أجمع الأغراض. فكرت، وهي تضغط على الجرس الكهربائي.

فتحت مدام جيسكار لها الباب بتكشيرتها المعتادة. «لقد سأل عنك السيد.» اتسعت عيناها. «ماذا حصل؟ ثيابك ممزقة وهناك دم!»

«حاول أحدهم خطف حقيبتي لكن لحسن حظي أوقف عند حده في الوقت المناسب.» حاولت فيليبا تغيير الموضوع: «أنا آسفة، إذا كان السيد ينتظر. سأرتب نفسي حالاً.»

دخلت إلى غرفتها. أخذت تنورتها المطرزة وسترتها البيضاء من خزانة الثياب وبعضاً من ثيابها الداخلية وتوجهت إلى الحمام لتأخذ دشاً.

كانت قد عادت إلى غرفة النوم في ثيابها الداخلية الحريرية تضع بعض المساحيق على وجهها عندما فُتح الباب من دون أي إنذار.

«لم استوعب كلام هنرييت. هل تعرضت للسرقة فعلاً؟» كان صوته قاسياً: «كيف حدث ذلك؟»

تنهدت فيليبا. الآن ستبدأ الاتهامات، فكرت.

«كنت خارجة من محترف زاك عندما حاول رجلان سرقة حقيبتي، ثم ظهر رجل آخر ساعدني على التخلص منهما. لم يأخذا شيئاً.» أضافت بهدوء.

رفع آلان حاجبيه: «لا يمكن أن تكون فعلتهما مقصودة، إذا كان حضور شخص واحد أرعبهما. من حسن حظك أنه كان هناك.»

«نعم، بالتأكيد.» وافقت فيليبا بحماس: «كان رائعاً حتى... أنه دعاني إلى مشاركته القهوة، ثم أوصلني إلى البيت.»

وقف آلان قرب النافذة ثم نظر إلى الشارع. «هل تعرفين اسم المنقذ الشجاع؟»

«بالطبع. فابريس دي ثيبري.»

www.rewity.com/vb

«يجب أن أجده... أقدم له مكافأة.»

«كما تريد... لكن لا أظن أنه يتوقع أي شيء. كان... لطيفاً جداً.»

ارتعشت فيليبا وهي تمسك بدلتها المطرزة. لقد نظفت جروحها في الحمام، ولكنها ما زالت تؤلمها.

«هل جرحت؟» اقترب منها عابساً.

«لقد وقعت. الأمر ليس خطيراً.»

«لا أظن ذلك.» وأجلسها على حافة السرير ثم جثا أمامها ليفحص العلامات التي على ركبتيها.

«صدقني، إنها ليست خطيرة.» شعرت بالاحراج... وبدء تداعب ركبتها.

«هل استعملت المطهر؟ أليس من الأفضل أن تضعي بعض الضمادات؟»

«إنها خدوش بسيطة، ولم تعد تنزف.» ابتعدت عنه قليلاً. «الآن... أرجوك، أريد أن أستعد للسهرة. سنتأخر.»

«لا داعي للعجلة.» كان صوته أجش: «ما كان يجب أن يحدث ذلك.» وأحنى رأسه، ولثم الجرح الذي على ركبتها بسرعة.

جعلتها لثمة شفتيه تتوق إلى مداعباته الجريئة. كادت تصدر عنها تنهيدة، لكنها اخمدتها. تحركت بقلق، ولكن يديه أوقفتها.

«لا تهربي.» أصبح صوته غاضباً: «هل تجدين لمستي بغيضة فقط، أم أنك جفلت أيضاً من ذلك الغريب؟»

«الأمر... مختلف. كان... لطيفاً.»

«هل هذا ما كنت تريدينه من الرجل، يا زوجتي البريئة...

فقط... اللطف؟» انتقلت أصابعه فوق بشرتها، فجعلتها تحترق وتتلون.

وضعت فيليبا يديها حول عنقه بملء إرادتها حتى تشعر بقوته تحميها. طوقهما صمت عميق، لم يقطعه إلا صوت تنفسها.

برغم أن طرق الباب كان سريعاً ورسمياً، إلا أنه، بدا كضربة مطرقة مزقت رتة عالمهما المبهج في لحظة.

«سيد آلان... مدام!» كان صوت مدام جيسكار. «يقول مارسيل إن السيارة أصبحت جاهزة.»

«يا إلهي!» تراجعت فيليبا إلى الوراء لتحرر نفسها من ذراعي آلان. عكست مرآة مزينتها وجهها المتوهج بالمتعة والاستسلام من دون رحمة. «دعني أذهب... يجب أن...»

«ماذا؟» حدقت عيناه الخضراوان بها. «ما رأيك لو أخبر مارسيل بأن يذهب هو والسيارة إلى الجحيم، ونمضي الليلة هنا؟»

«الجميع يتوقع حضورنا الحفلة.» بدا صوتها مرتعشاً. «لا يمكنك إهانة الناس.» قالت بسرعة، وهي تغطي نفسها: «ما يزال عمك يبحث عن عذر...»

«أعتقد ذلك.» تجاوزها آلان بوجه جامد ساخر. «ليس هو فقط من يبحث عن عذر.» وقف أمام المزينة ليمشط شعره المبعثر وليرتب ربطة عنقه. «سأنتظرك في غرفة الصالون.»

أخذت فيليبا ثيابها. تتلمس مكان الأزرار والزمام بأصابع مرتعشة.

وضعت أحمر الشفاه من جديد على شفتيها بسرعة ثم

www.rewity.com/vb

تركت شعرها ينسدل حول وجهها المتورد. وقفت للحظة تحدق إلى نفسها في المرآة، وهي لا تصدق ما حدث لها.

لو لم تدق مدام جيسكار على الباب، لكانت ارتكبت غلطة فظيعة، لا يمكن إصلاحها. لقد جعلها آلان تستسلم له بسهولة... وكان على وشك أن يستعبدها كلياً.

ارتعدت وهي تمسك حقيبتها السوداء. عليها أن تكون أكثر حذراً من الآن وصاعداً، قالت لنفسها، وهي تتجه إلى الصالون.

أقيمت الحفلة في بيت كبير خارج باريس. كان المساء دافئاً، وأبواب المدخل مشرعة حتى يتمتع الضيوف الأكبر سناً من آلان وفيليبا بمناظر الحدائق الخلابة.

كانت شاكرة لأنها استطاعت أن تهرب إلى الحديقة. وكانت تعي نظرات آلان المثبتة عليها وهما في السيارة. لم يتكلما كثيراً، ولقد عرفت أن لقاءهما اعتُرض، لكن لم ينته تماماً. والآن بعد أن خانتها رغباتها، كانت متأكدة بأن آلان لن يكتفي بعد اليوم بسلبيتها المحرجة، والتي طالما أظهرتها بين ذراعيه.

لم تستطع تفسير ضعفها. لا بدّ أن الحادث الذي تعرضت له أضعف مقاومتها، فكرت بحزن، وهي تتكىء على المَتْرَس الحجري، وتمسك كأس الشراب الذي لم تمسه.

الآن سيبدأ آلان بمطاردتها... هذا الصياد الذي يعرف أن ضحيته ضعيفة، يأمل أن يحرز انتصاراً نهائياً وسريعاً. سيقضي عليها.

عبست فيليبا، لأنها أحست بأنها تبالغ في تصوير الأمور. لكن ألا يمكن أن يكون استسلامها لآلان موتاً بحد

ذاته عندما تسمح لنفسها أن تصبح لعبته لساعات عدة، يتركها من بعدها ثم يذهب باحثاً عن متعة أخرى بعد أن يمل منها؟

بدا جسدها متقلصاً بوضوح. هذا أمر لا تستطيع أن تسمح به... أو أن تفكر فيه. لا يمكنها أن تمنح نفسها له. لأنها حالما تفعل سيستملك قلبها، وروحها بيدين قاسيتين جارحتين. والنتيجة ستكون كارثية.

رفعت ذقنها بتحدٍ. لن تكون ضحيته ولا دميته... يستعملها، لأنه ملّ من حشمة الزواج التي فرضت عليه، ولأنه اعتقد أن الأمر سيكون مسلياً إذا فتن زوجته المعاندة.

«مدام دي كورسي، لقد بحثت عنك في كل مكان.» عرفت فيليبا صوت مضيفتها الناعم. تنهدت حتى تهيء نفسها لتعارف جديد.

«اسمحي لي أن أقدم لك أحد أعز أصدقائي، السيد جيرار دي غريسي. لقد أتى مع ابنته التي تقول إنها تشرفت بمعرفتك في مناسبة سابقة.»

استدارت فيليبا ثم ابتسمت لها بتهذيب.

لم تلاحظ الرجل الأشيب الذي كان يحني رأسه ليطبع قبلة على يدها. كانت عيناها مثبتتين على المرأة التي كانت إلى جانبه في ثوب أزرق مثير.

«مدام دي كورسي،» كانت تبتسم لها بعينيها البنفسجيتين المليئتين بالحقد: «هل تذكرينني جيداً؟» قالت ماري لور سومرفيل.

www.rewity.com/vb

الفصل السادس

أطلقت فيليبا لهاثاً صامتاً. وفي الوقت نفسه انسل الكأس من قبضتها، وتحطم على البلاط، وتناثرت محتوياته على تنورتها الصفراء المطرزة.

صرخت مضيفتها مستعلمة وتجاهلت اعتذارات فيليبا المضطربة. قائلة إنه من الأفضل تنظيف التنورة قبل أن يلطخها الشراب بشكل يتعذر إصلاحه. استدعت مدبرة المنزل التي اعتبرتها كنزاً وطلبت منها معالجة الوضع.

آخر شيء تذكرته فيليبا وهي ترافق مدبرة المنزل هو ابتسامة ماري لور الماكرة والمنتصرة. وتعبير آلان الراعد وهي تتجاوزه في المدخل.

استشاطت غضباً من تصرفها وهي تنتظر في رداء قطني ريثما تنتهي مدبرة المنزل من تنظيف تنورتها. لقد تصرفت كالحمقاء، هذا ما سيقوله آلان. كان من المفترض أن تبتسم لها وتتجاهلها كلياً.

في الوقت نفسه ليس لمضيفيها، مسيو لوغري وزوجته، ضلع في ترتيب هذه المواجهة الثانية بين ماري لور وبينها. كانا لطيفين جداً، وهما من أعز أصدقاء والدي الآن ، كما أنهما زميلان في العمل، ولهما نشاطات خيرية عديدة. ربما لم يعرفا بعلاقة آلان وماري لور. بالطبع من حق والد البارونة أن يطلب منها

مرافقته إلى عشاء رسمي، إذا كانت زوجته مريضة.

كلا، إنها فقط إحدى الصدف المشؤومة. والآن تصرفها *الأحمق*، أو ردة فعلها المغالية لحضور ماري لور، سيحث الألسن ثانية على الثرثرة، فكرت بيأس.

وأخيراً عادت إليها تنورتها، نظيفة تماماً لكنها رطبة بعض الشيء. استطاعت أن تنضم إلى الضيوف في غرفة الطعام وبدأت الأسئلة تنهمر عليها باهتمام وحماس شديدين.

أخبر آلان الضيوف عن حادث السرقة، التي تعرضت له ذلك اليوم. في وضح النهار... يا لها من صدمة! يالهذا الاجرام! لا عجب أنها متوترة الأعصاب لكن ما الذي جعلها تسير بمفردها في الشارع؟

«كنت خارجة من محترف الرسم.» قالت فيليبا بضعف: «إني أعمل هناك كل يوم. لم اتوقع أبداً حدوث شيء كهذا.»

«نعم، أنت فنانة.» مالت ماري لور برأسها إلى الأمام. بدا تعبيرها ساخراً: «ما زلت تتابعين؟ ألم تملي من ذلك بعد؟»

«أبداً، الرسم مهم جداً بالنسبة لي.»

هزت ماري لور كتفيها بلا مبالاة: «هل هذا يعني أن هناك نقصاً في حياتك وتحاولين أن تعوضيه بالرسم؟» تظاهرت بالاندهاش: «كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ أتمنى ألا يكون آلان العزيز قد أهمل واجباته كزوج.»

خيم صمت مفاجيء، وأسرعت مدام لوغري لرأب الصدع الذي أحدثته البارونة وراحت تتحدث عن خطط اللجنة المحلية، ومنها الاحتفال بيوم الباستيل، وأصبحت الأحاديث عا

www.rewity.com/vb

استرخت فيليبا على مقعدها وقلبها يخفق بسرعة. كان آلان يجلس في الطرف الآخر من الطاولة، ولم تجرؤ على النظر إليه. ماذا بحق السماء كانت تحاول البارونة أن تفعل؟ سألت نفسها بارتباك، كانت تعلق باستمرار على كل شيء، وكأنها تحاول أن تخلق المتاعب وتعزز الأقاويل. مع أن من مصلحتها أيضاً ألا يحصل المزيد من الفضائح. إذاً ما الذي يجري؟

أجبرت فيليبا نفسها على تناول الطعام والتحدث بلطف إلى بعض الضيوف بشكل طبيعي. تمنت لو أن تعليقات ماري لور تؤخذ كنموذج للمرأة الحقودة، وألا يوليها الضيوف اهتماماً كبيراً، قالت لنفسها من دون اقتناع راسخ.

بعد ذلك قُدمت القهوة في الصالون وسمعت موسيقى مصاحبة للحوار والأحاديث. تجنبت فيليبا الاختلاط بالمجموعة القائمة إلى جوار مكان ماري لور.

إنني أتصرف بسذاجة، قالت لنفسها، باجتنابي لها في هذه الطريقة، إنني اضع نفسي في موقف دفاعي، وهذا من مصلحتها. يجب أن أؤكد لها أنني غير مكترثة لوجودها وغير منزعجة من حركاتها. المشكلة أنني أتذكر دائماً تعليق تلك المرأة: «لن تتفوق على ماري لور» وأصدقه أيضاً.

بدت أمسية طويلة وكانت فيليبا في حالة متوترة، لا تسمح لها أن تستمتع بأحاديث الضيوف، برغم أنهم لا يمكن أن يكونوا أكثر لطافة. لكن أصروا عليها أن تخبرهم عن حادث السرقة مع أنها كانت تفضل أن تنساه تماماً. شعرت فجأة بضيق في صدرها من كثرة الضجيج والثرثرة

وبالاختناق من رائحة السجائر الممزوجة برائحة العطور الغالية الثمن التي ملأت الغرفة.

واحتاجت لأن تكون بمفردها في الهواء الطلق لعدة دقائق. أغلقت أبواب المدخل خلال العشاء، لكن كان واحد منها مفتوحاً جزئياً. انسلت فيليبا بسرية من خلاله إلى الظلمة.

وقفت ثابتة في مكانها، تأخذ نفساً عميقاً، وتتنشق رائحة الأزهار. لاحظت فجأة أنها ليست بمفردها، ورأت حركة في الظلال، وسمعت تمتمة أصوات خفيضة.

عبست قليلاً، وهمت بالدخول.

«آلان.» دوى هذا الاسم في أذنيها بطريقة مثيرة، لا يمكن تجاهلها أو نسيانها. استدارت ناحية الصوت واختلست النظر إلى حيث كانت هناك عريشة متشابكة مع شجيرات صغيرة. وكان أحدهم استدعى القمر من وراء الغيوم حتى تراهما سوياً متلاصقين. كانت ماري لور تضع ذراعيها حول عنق آلان، وهما ملتصقان تماماً.

«آلان، حبيبي.»

لم ترد أن تسمع... أو أن ترى المزيد. كانت منذ عدة ساعات في الوضع نفسه، فكرت، والألم يعصر قلبها وراحت تتلمس طريق العودة إلى الصالون.

ربما لم يكن وجودها صدفة الليلة. ربما خططا لذلك بتلك الطريقة حتى يختطفا بعض اللحظات المحرّمة عليهما أيضاً. تصرفا بذكاء. لم تلاحظ خروجهما من الغرفة، أو حتى أي شخص آخر. كانت أمسية رائعة وممتعة. وكان الجميع مستغرقين في أحاديثهم وسمرهم، وهذا ما اعتمد عليه العاشقان.

www.rewity.com/vb

في هذا الوقت، وخلافاً للمعتقد السائد، كانت الزوجة أول من يعلم. ذلك ليس صحيحاً بشكل تام، لقد علمت بذلك من قبل.

لهذا تزوج آلان منها، إنها غطاء مموه. برؤيتهما معاً، توضح لها كل شيء.

«فيليبا.» قفزت عندما ظهر آلان فجأة بجانبها، ويده تمسك بذراعها.

بدا وجهه متجهماً وهو ينظر إليها. «هل كنتِ أنت... منذ قليل تقفين على الشرفة؟» بعدما هزت رأسها بصمت، استطرد: «اعتقدت ذلك.» قال بصوت أجش، من بين أسنانه، وهو ينظر حوله: «أنا بحاجة إلى أن أتحدث إليك. ساجد السيدة لاغري وأعلمها بانصرافنا.»

«كلا، شكراً.» حررت نفسها بلطف وبكرامة. «لا أريد أن أذهب، إني... استمتع بوقتي.» أضافت بتحد: «لا أنوي أن أحطم كاساً ثانياً، أو حتى أن أتصرف بحماقة باي طريقة، أرجوك لا تقلق علي.»

«هل تعتقدين أن هذا يهمني؟» قال بفظاظة: «يجب أن أتحدث إليك سراً... لأفسر.»

«لقد فسرت عندما التقينا.» حدقت فيليبا إلى فنجان القهوة. وكأنه العمل الأروع والأكثر خيالاً في عالم الإنسان وقالت: «لا أمانع، آلان. إنك تدفع لي بسخاء حتى أؤمن لك الحماية ولأتغاضى عن... نزواتك. هذا ما سأفعله دائماً.» ابتلعت غصة من حنجرتها. «لكنني لن أسمح لنفسي أن أكون إحدى نزواتك بعد اليوم. وسوف أزود في المستقبل باب غرفتي بقفل ومفتاح.»

تسرب الصمت الذي خيم بينهما إلى عقلها، وأخذ يطرق في اذنيها.

«حسناً، ساحقق لك رغبتك.» قال بهدوء وبلطف أخيراً.

«هناك شيء آخر.» تابعت النظر إلى فنجانها وأضافت: «لا أعتقد أن أحدهم افتقدك هنا، لكن ليس من الحكمة أن تستغل مناسبات كهذه، خاصة بعد أن لفتت *مدام* سومرفيل الأنظار إلينا في هذه السهرة.»

«إني ممتن لك لهذه النصيحة، لكن في هذه الحالة، لن نحتاج أنا و*مدام* سومرفيل بعد آلان إلى رعايتك.» قال بصوت قاسٍ

«فهمت.» قالت وابتعدت عنه.

لكن هذا ليس صحيحاً. الملاحظة التي لم تستوعبها... لم تتقبلها... ضربتها كصاعقة. جمدتها تماماً مع فنجان القهوة الذي في يدها.

في الحقيقة، أرادت أن تبكي، أن تصرخ، أن تضرب الأرض بقدميها، أن ترمي ما تبقى من فنجانها على قميص آلان النظيف وأن تخدش وجهه بأظافرها حتى يسيل منه الدم.

ثم ستجد ماري لور و... أخذت نفساً عميقاً، الأفضل أن تتوقف هنا.

شعرت أن قوة وبشاعة الموقف تكادان أن تسيطرا عليها، كما فعلت تلميحات آلان اللاذعة.

الغيرة، فكرت. هذا ما أشعر به، لكن لا يمكن ذلك. هذا يعني أنني أريد آلان لنفسي. ربما أنا واقعة في حبه. هذا مستحيل. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

www.rewity.com/vb

لو كان ذلك صحيحاً، ماذا باستطاعتي أن أفعل؟ كيف سأتحمل ذلك؟

رفعت كتفيها. فكرت بقوة، لن أسمح بذلك.

«عفواً، مدام.» بادرها شخص كان يقف إلى جانبها ويرمقها بنظرة مبهمة. كانت تتكلم بمفردها بصوت عال ومن دون ادراك.

ضحكت فيليبا، واعتذرت كإنسان آلي، وسمحت لنفسها بالانضمام إلى إحدى المجموعات والانخراط في الحديث معهم.

كانت فيليبا تشعر كل الوقت بوخز في رأسها وكان بخاراً ساخناً يتصاعد فيه. وجاء رجاؤها الصامت اليائس. يا إلهي، لا تجعلني أحبه. أرجوك، لا تجعلني أحبه.

ليس باستطاعتها سوى أن تأمل، بيأس، أن تستجاب صلواتها.

«ما بك اليوم؟» سألها زاك بغضب و أشار إلى لوح الرسم الخاص بفيليبا: «كان من المفترض أن تكون لوحتك أقل تعقيداً. طلبت منك أن ترسمي السيدة التي على المنصة... مثال فقط، على جمال الجسم الإنساني. منذ متى قررت أن تتجهي إلى التكعيبية؟»

توردت وجنتا فيليبا وأجابت: «أبداً. ذلك فقط... حسناً، لكنني كما تعرف، أجد صعوبة في رسم الأحياء.»

«قولي ذلك ثانية!» حدق زاك في لوحتها ثم تأوه: «وفقاً لهذه، تبدو جيني وكان لديها حوالى عشر عاهات أساسية. ربما ستقيم علينا دعوى.» استدار نحو المِثال التي بدت

منزعجة، وتبحث عن ردائها بتوتر وقال: «أنت لا تريدين أن تنظري إليها. ستعكر مزاجك.»

ابتسمت جيني بهدوء ثم ذهبت لترتدي ثيابها.

رمق زاك فيليبا بنظرة تساؤلية: «إذاً ما المشكلة؟ حادث السرقة؟ يقولون إن البرق لا يصيب المكان نفسه مرتين.»

ابتسمت له فيليبا: «أتمنى ذلك. هناك أشياء كثيرة تشغل بالي.»

«كيڤين، بالتأكيد. يا عزيزتي، ماذا عساي أن أقول؟ عليك أن تثقي بالأطباء. لن تحسّني حالته في نيويورك بالقلق عليه في باريس.»

«أعرف ذلك.» كانت فيليبا تشعر بالذنب لأنها لم تفكر بوالدها خلال الأربع وعشرين ساعة. «إني آسفة يا زاك. لقد ضيعت وقتك، أليس كذلك؟»

أخذ زاك لوح الرسم ثم وضعه في مكان آخر. «اذهبي إلى البيت، يا فيليبا وحاولي أن ترتاحي. اقنعي زوجك الوسيم باخذك إلى العشاء خارجاً.» نظر إليها بعبث: «لا اتصرف هكذا، إلا مع المبتدئين.»

توردت وجنتاها. «ربما كان... مشغولاً.»

«إذاً قولي له بأن يرتاح أيضاً. أريدك هنا غداً جاهزة للقيام بعمل حقيقي.» قال متجهماً.

القول أسهل من الفعل، فكرت فيليبا بحزن وهي تنزل السلالم. لم يحاول آلان التحدث إليها في الليلة السابقة وهما في طريق العودة إلى البيت. تمنى لها ليلة هانئة ثم دخل غرفته وتركها تردد لنفسها مراراً وتكراراً... إن هذا ما أردته بالتحديد.

www.rewity.com/vb

بقيت تقول ذلك على فترات ليلة طويلة ومملة. وفي وقت ما قبل الفجر استسلمت للهزيمة. نهضت عن السرير وزحفت عارية القدمين إلى غرفة آلان. كانت خاوية وغير مستعملة. حدقت فيها لمدة طويلة ثم عادت بصمت إلى غرفتها، وبكت.

وصل صانع الأقفال قبل أن تنهي فطورها. بدت مدام جيسكار غاضبة وهي تراقبه يعمل. لم تكن فيليبا متأكدة ما إذا كان عليها أن تلومها أم لا.

أخبرتها مديرة المنزل بهدوء أن مارسيل سيكون جاهزاً خلال لحظات حتى يوصلها إلى مكان عملها. هذه أوامر السيد آلان.

خرجت إلى الشارع وبحثت عن السيارة، لكنها لم تكن في انتظارها. يا للعجب، فكرت وهي تنظر إلى ساعتها. إنها في وقت أقل بساعة من المعتاد.

«مدام دي كورسي.» استدارت وجلة في الوقت المناسب ورأت فابريس دي ثيبري يتقدم نحوها.

«أتمنى ألا تكوني ظننت أني لص آخر.» شعرت بدفء ابتسامته حين أضاف: «أردت أن أراك لأرجع لك هذه.» ناولها حلقة مفاتيح من جيبه: «لا بد وأنني أخذتها خطأ البارحة.»

«شكراً لك. لم أجرؤ بعد على الاعتراف بفقدانها.»

«هل زوجك مخيف لهذه الدرجة؟» بدا صوته مرحاً، لكن نظرته كانت جدية.

«كلا... على خلاف ذلك تماماً.» قالت فيليبا بسرعة.

«أنت مبكرة، وأنا سعيد لأني وجدتك.»

«ليس تماماً.» تنهدت فيليبا وأضافت: «علي أن انتظر السائق في المستقبل.»

«هذا تصرف منطقي.»

«نعم، لكنني لا أريد ذلك.»

نظر إلى ساعته. «هل لديك وقت، ربما لتناول فنجان قهوة آخر؟»

ترددت فيليبا. هذا التصرف المنطقي سيرفض بلباقة، ولقد عرفت ذلك.

«سترفضين، أليس كذلك؟» قال فابريس دي ثيبري باسف: «أنا لا ألومك. زوجك رجل مرعب. لا يتمنى لك أن تصادقي رجلاً عادياً مثلي.»

حدقت فيليبا إليه. «هل تعتقد حقاً ذلك؟»

«بالطبع.» وبدا محرجاً. «بعد أن تركتك، قمت ببعض التحريات. لولا المفاتيح لما كنت فكرت بالإقتراب منك.»

رفعت فيليبا ذقنها وقالت: «مسيو دي ثيبري، سأكون مسرورة لتناول القهوة معك.»

عرفت ما يكفي، خلال نصف ساعة، من المعلومات عنه، فاكتشفت أن والديه يعيشان في روين حيث مقر عمل والده وأنه ابن وحيد. كان فابريك يعمل في باريس، يتابع تدريبه في المحاسبة مع شركة عالمية. ويمارس في الشتاء لعبة الركبي، وهو يستمتع بالأفلام اليابانية. تدفقت منه هذه المعلومات بشكل عفوي.

من الممتع، لاحظت فيليبا، أن تجلس المرأة في وضح النهار مع شخص، يجدها بوضوح، جذابة وإذا تمتم صوت في داخلها محذراً بأن هذا الوضع محفوف بالمخاطر، ستتجاهله بالتأكيد. وإذا عارض آلان رفقتها الجديدة ما النفع عندئذ؟ سألت نفسها بتحد. ليس من حقه أن ينتقدها

www.rewity.com/vb

بعد أن رأته على الشرفة الليلة السابقة. كانت بكل بساطة تتناول فنجان قهوة في مقهى على الرصيف. إذاً ما الداعي لتذمره؟ لم تكن بصدد المباشرة في علاقة حب.

لم يسكّن بريق الاعجاب في عيني فابريس، والطريقة التي كان يميل بها نحوها، حتى كاد أن يلمس يدها... كانت هذه الأمور بلسماً لجروحها النفسية التي سببها آلان. شعرت بالاهانة وهي تتذكر كيف سمحت له بعناقها... بلمسها. وكيف نسيت أنه كان يداعبها كلمتين لبضع ساعات، مع أن قلبه وعقله وروحه كانت ملكاً لامرأة أخرى.

تنهدت سراً وهي تفكر في ماري لور. نعم،إنها جميلة، ويحلم بها أي رجل. لكن فيليبا وجدت نفسها تتمنى لو أنه أحبها أكثر، أو فكرت بأنها تستحق افتتان آلان بها. هل كان مسلوب العقل لدرجة أنه تعامى عن حقدها وفسقها، أو أنه لم يعد يهتم؟

«فجاة.» قال فابريس بلطف :«أشعر وكأنني أكلم نفسي.»

«إنني آسفة... هذه كانت فظاظة مني.» رشفت باقي قهوتها أضافت: «هناك عدة أمور تشغل بالي.»

هز رأسه بشجاعة: «إني أفهم. وربما أنا أعرف أكثر مما تظنين.»

ضحكت وهي تمسك حقيبتها: «بعد فنجانين من القهوة؟ أشك في ذلك.»

«أعرف، على سبيل المثال، أنك غير سعيدة، وأن زوجك يعيش حياة خاصة به وحده.»

عضت فيليبا شفتها. «لست مستعدة لمناقشة زواجي معك، أو مع أي شخص آخر، يا مسيو.»

«الآن أغضبتك!» إني اعتذر، لست بوضع يسمح لي بمحاكمتك.» لمست يده أصابعها. «أرجوك قولي إنك سامحتني، وإنك ستتناولين القهوة معي مرة ثانية؟»

عرفت فيليبا أن هذه هي اللحظة الملائمة للتراجع، للابتسام بتهذيب، وللانسحاب من دون أي ارتباطات. إنها امرأة متزوجة ولا يحق لها أن تتواعد مع شخص آخر، مهما كان اللقاء بريئاً. لو كنت فعلاً زوجة آلان، لما كنت فكرت بذلك أبداً. ولكن بما أن...

«بماذا تفكرين؟ في أن زوجك سيغضب لو عرف أنك جلست في وضح النهار وتحدثت... وابتسمت قليلاً؟»

«ولماذا سيمانع؟» قالت بنفور: «إن لي حياتي الخاصة أيضاً.»

«إذاً هل سأراك مرة ثانية؟ علي أن أسأل، أنت تفهمين لأن ليس لدي أي شيء آخر يخصك أستطيع أن استعمله كعذر.»

نظرت فيليبا إليه باندهاش. «هل هذا يعني أنك تعمدت الاحتفاظ بمفاتيحي؟» سألت ببطء: «هذا عمل طائش، يا سيد.»

هز رأسه، ثم ابتسم بأسف: «هل تسامحينني؟ أعرف أن ذلك خطأ، لكنني لم أتحمل فكرة عدم رؤيتك ثانية. سنلتقي هنا غداً وفي الوقت نفسه.»

«ربما، لا أعرف.»

أطبق يديه على يديها وقال:« سأنتظر حتى تأتي *أورغموار* يا فيليبا.»

www.rewity.com/vb

«أورفوار يا فابريس.» كانت ابتسامتها وهي تسحب يدها من يده خجولة ومترددة.

كان لطيفاً، قالت لنفسها على نحو دفاعي وهي تسير إلى محترف زاك حيث كانت تنتظرها السيارة. لقد اعجبت به، من الممتع أن يكون لديها صديق... شخص يعوض عليها وحدتها.

ربما بمساعدة فابريس، إلى جانب دراستها طبعاً، لن تتألم كثيراً من زواجها الزائف بعد الآن. ربما ستتعلم في الوقت المناسب أن تتحمل وجود ماري لور في حياتها.

تساءلت فجأة إذا كان آلان سيتحمل فابريك. ليس له الحق، بالطبع، إذا أخذ تصرفه بعين الاعتبار، ولكنها تعلم أنه قادر على العيش بازدواجية.

لكنني لا أحاول أن أقيم علاقة غرامية مع أحد، فكرت فيليبا بحزم. لا أريد أن أتورط... لا مع فابريس ولا مع آلان.

جفّ حلقها من كثرة ما آلمتها الفكرة.

لا أريد أن أهان ثانية، قالت بصمت، أو أن أمضي المزيد من الليالي المؤرقة في البكاء. أريد فقط أن أجلس في وضح النهار وأتحدث... وأبتسم قليلاً.

ليس هناك أي ضير في ذلك، حقاً؟

تراءى لها فجأة آلان القاسي وعيناه الخضراوان تشعان بغضب شرس كما في الليلة السابقة. ارتجفت وهي تتذكر ردة فعله الشرسة عندما استفزته قبلاً، في ليلة زواجهما.

مهما كانت نواياها بريئة، فكرت وهي تعبر الشارع، عليها أن تكون حذرة جداً. فآلان دي كورسي، رجل لا يمكن خداعه.

الفصل السابع

«لا أستطيع. «هذا مستحيل، وأنت تعرف ذلك.» قالت فيليبا.

أخذ فابريس يدها وضغط عليها بشدة. «لماذا ترفضين؟ إنه مجرد حفل موسيقي، لا أكثر. لقد قلت إنك تستمتعين بموسيقى رافيل ودوبوسي كثيراً. لماذا لا تكوني ضيفتي؟»

تنهدت فيليبا وقالت بلطف: «فابريس.» أنا امرأة متزوجة.»

«هل حضورك حقاً سيفسخ عقد زواجك؟ يا إلهي، فيليبا، إني اؤكد لك أن زوجك ليس عنده مثل هذه الوساوس.»

تجمدت فيليبا على نحو دفاعي: «إني لا أفهم.»

هز فابريس رأسه وتمتم: «هذا الاخلاص... لا يستحقه، يا فيليبا. يجب أن تعرفي ذلك. الرجل معروف بنزواته التي لا حد لها. علاقاته صاخبة جداً.»

«يجب ألا تتحدث عن آلان بهذه الطريقة.» قالت فيليبا بحدة عندما سرى الألم في جسدها: «إذا كنت ستتابع... لن أقدر على رؤيتك ثانية.»

«لا تقولي ذلك.» أحكم فابريس قبضته على يدها وأضاف: «لقد أصبحت هذه اللحظات القليلة معك، كل حياتي. لا يمكنك أن تحرميني منها.»

www.rewity.com/vb

«لا يجب أيضاً أن تتفوه باشياء كهذه.» توهج وجه فيليبا، وحررت يدها من قبضة يده ثم أضافت: «لقد وعدت بأن تكون صديقي يا فابريس.»

«إذاً دعيني أرافقك إلى هذا الحفل كصديق.» قال بحزم.

«أنت عنيد جداً!»

بدأت تجد اهتمامه المتزايد محرجاً، ومع ذلك، اضطرت لأن تثق بأن مرافقتها لها كانت بمثابة حبل إنقاذ نفسي خلال الأسابيع الفائتة، نظراً للصراع المستمر بين الآن وبينها.

عضت شفتها. لقد وضع القفل الذي أصرت على حصوله في مكانه. لكنه ظهر أنه غير ضروري البتة. لم يحاول آلان التقرب منها منذ خلافهما الأخير.

في الواقع، كان يتغيب عن باريس كثيراً بحجة العمل، وكانت تمضي معظم الليالي تحدق في الظلام وتتساءل...

عندما يكون في البيت، كانا يلتقيان على الطعام فقط، أو عندما تكون هناك مناسبة إجتماعية، يصر على استصحابها إليها ليلعب هو دور الزوج المحب والمخلص.

من الواضح، فكرت بتعاسة، بإمكان المرء أن يخدع بعض الناس معظم الوقت. كانت طريقتها في التجاوب معه مذهلة عززها خجلها الطبيعي كونها فتاة متزوجة حديثاً.

في الشقة، كان شعور فيليبا بالقلق يتزايد باستمرار. كان تصرفه معها دائماً لطيفاً، لكن متحفظاً. لم تشعر سوى بالنفور عندما كان يقف في إحدى الحفلات إلى جانبها، أو يلمسها في المناسبات النادرة. كانت تعرف جيداً أنهما بعيدان جداً في الواقع، مهما بديا متقاربين أمام الناس.

ولذلك لجأت إلى فابريس، وإلى العلاقة البريئة التي عرضها في البداية.

لكنها كانت بالطبع ساذجة، عندما فكرت بأن هذا النوع من العلاقات يمكن أن يستمر بشكل غير محدد. لم يكن فابريس من النوع المرهق فقط بل رجل عادي جذاب. والآن بدت علاقتهما تقترب من مرحلة لا يمكن التراجع عنها، وهي لم تكن متأكدة بعد من شعورها.

السؤال الذي يجب أن تطرحه على نفسها هو: هل تريد حقاً أن تقيم علاقة مع فابريس أم مع أي شخص آخر... مهما كان تصرف آلان حيال الموضوع؟

الجواب الغزيري الذي فرض نفسه بشكل ثابت كان صوتاً سلبياً.

ليس من العدل أن تبقي فابريس على أمل، ولا سيما أنها تعرف جيداً أنها لن تتمادى معه، فلا مستقبل لعلاقتهما، وعليها أن تشرح له ذلك.

مع أنها كانت مدركة أنانيتها، فهي غير مستعدة الآن لأن تتخلى عن فابريس. فهو كان يمثل لها العلاقة الانسانية ذات الدفء في حياتها القاحلة. كان زاك وسيلفيا رائعين معها. لكن رؤيتهما معاً، ومراقبة بنية زواجهما القوية ومقارنتها بحياتها الزوجية الخاوية، كانت شيئاً لا يحتمل.

كانت تعرف أن عملها أصبح تافهاً وسطحياً. و كان زاك ينتقدها وينبهها دائماً لشدة قلقه عليها.

«أنت بحاجة إلى بعض التركيز.» قال لها ذلك مراراً: «ربما عليك أن تبتعدي عن أجواء باريس لبعض الوقت وتطلقي العنان لفنك. ربما ستجدين ذاتك.»

www.rewity.com

ابتسمت وقالت إن الفكرة رائعة لكنها مستحيلة الآن. ربما يوماً ما في المستقبل...

كان تعهدها لآلان دي كورسي، وليس لرحلة البحث عن الذات التي يمكن أن تنجح أو تفشل.

لكنها كانت تعرف شيئاً واحداً عن نفسها، وهو إذا رجع الزمن بها إلى الوراء ووجدت نفسها مرة أخرى في مكتبة لاودن، ستهرب بعيداً عن آلان، ولن تخضع نفسها لزواج زائف.

إن حقيقة عدم كذبه بالنسبة لنمط حياته، وموافقتها على كل الترتيبات، لم تغيرا من الأمر شيئاً، ولم تقدما أي تعزية لها.

كان همها الوحيد في ذلك الوقت كيڤين، وحياة الرفاهية التي قدمها آلان. لم تأخذ بعين الاعتبار مشاعرها واحتياجاتها، وخاصة أنها ستعيش مع شخص جذاب كآلان. كان عليها أن تتفهم مدلولات الوضع وأن تراعي قلة خبرتها وضعفها قبل أن توافق على شروطه.

مع ذلك، كانت يائسة كما قال حينها، لكن لو كان بمقدورها أن تتنبأ بالذي كان ينتظرها لكانت رفضت الصفقة ونصحته بأن يجد شخصاً آخر.

لقد فات الأوان الآن، وعزاؤها الوحيد هو معرفتها بتحسن صحة والدها. لقد استطاع الاختصاصيون تحديد الفيروس الذي تمكن منه، ولم تحصل أي مضاعفات. لقد استعاد والدها في الواقع، بعضاً من قابلية التحرك في يده وجنبه الأيمن. لقد حاصروا المرض، وهذا الأمر كان كافياً لشعورها بالإمتنان.

لم يجعل ذلك من زواجها بآلان عملاً صائباً، لكنه ساعدها على تبرير الخطوات المتهورة التي اتخذتها وقالت في سرها، إذا كان كيڤين على طريق الشفاء، فإن ذلك مبرر كاف لمعاناتها في الوقت الحاضر.

«فيليبا؟» أعادها صوت فابريس إلى الواقع: «أين كنت؟ لم تسمعي أي كلمة مما قلته!»

«إني آسفة. كنت أفكر في والدي.»

«والدك؟» كان وجهه كئيباً.

لاحظت أنها حطمت غروره قليلاً، وأسرعت لإصلاح الوضع. «سأفكر في دعوتك، إني أعدك.»

«هذا رائع! سأنتظر قرارك غداً أليس كذلك؟»

«لا تستعجلني.» أجبرت نفسها على الابتسام.

«لن أفعل ذلك أبداً. لا أتحمل رؤيتك حزينة وأنت تحاولين التظاهر بالنقيض. ألا تستحقين بعض السعادة... وأن تكوني شخصاً محبوباً وجزءاً مهماً في حياة رجل؟»

أزعجتها العاطفة التي كانت في صوته. لم يتكلم معها بهذه الصراحة من قبل، فكرت. ثم اختلست نظرة إلى ساعتها وقالت: «يجب أن أذهب. مارسيل ينتظرني، وإني أجد صعوبة في خلق الأعذار لعدم انتظاري له خارج المحترف.»

«وأنت خائفة من أن يخبر زوجك؟» نهض فابريس عن كرسيه بتحدٍ عندما أرجعت كرسيها إلى الوراء وأضاف: «ولماذا يهتم؟ فهو لا يلتقي ببارونته الحسناء لمجرد أن يتناول القهوة معها، إني أؤكد لك ذلك.»

www.rewity.com/vb

أحنت رأسها. «أعتقد ذلك. ومع ذلك، يجب أن أذهب. أورڤول، يا فابريس.» وافقته بتكلف.

وضعت حقيبتها على كتفها ثم سارت إلى المحترف. انذهلت عندما اكتشفت أن هوية عشيقة آلان معروفة أيضاً خارج وسطهم الاجتماعي. هذا ما كنا نحاول أن نتجنبه. بماذا يفكر آلان؟ هل هو مهووس بها لدرجة أنه لم يعد يفكر بشكل منطقي؟ هل قرر أن عشيقته تستحق الخسارة المحتملة لشركته؟ بعد أن زود عمه بسلاح ليستعمله ضده.

نظرت إلى ساعتها ثانية وأبطأت خطواتها. كانت لأول مرة مبكرة على مارسيل، لكن هناك بعض المحلات التجارية التي طالما أرادت رؤيتها. باستطاعتها أن تضيع بعض الوقت هناك.

كانت تنظر إلى القماش الذي احتل في احدى صالات العرض واجهة بكاملها، عندما سمعت صوتاً وراءها: «إذاً هذه أنت. اعتقدت ذلك.»

استدارت فيليبا لتواجه نظرة سيدوني دي كورسي الباردة.

«مرحباً.» قالت بتهذيب وهي تخفي فزعها: «لم أكن أعرف أنك مهتمة بالرسم التجريدي.»

قالت سيدوني: «أبداً، لكن هناك محل قريب من هنا أشتري منه عادة ثيابي. هل هذا ما تفعلينه... تتسوقين؟»

بدا صوتها عبثياً وتساءلت فيليبا إذا كانت قد رأتها مع فابريس.

«كلا، كنت في محترف الرسم. انتهت الحصة اليوم باكراً.»

«أوه، نعم.» قالت سيدوني بسخرية: «دروس الرسم. إذا كانت تبهجك ما الضير في ذلك؟ أنت بحاجة إلى شيء تعتمدين عليه بعد أن يطلقك آلان.»

أحكمت فيليبا أصابعها على حقيبتها، لكنها أبقت ملامحها هادئة.

«هل ينوي آلان أن يطلقني؟» سألت باستخفاف: «لم يذكر لي ذلك.»

«ألم تعرفي بعد أن البارون سومرفيل أصيب بذبحة قلبية وهو مريض جداً؟ في الواقع لن يعيش أكثر من أسبوع.» تظاهرت سيدوني بالإندهاش: «ربما أخفى آلان عنك هذه الأخبار لأنه أشفق عليك. ليس من الملائم لك أن تعيشي معه وأنت على معرفة بدورك كبديل مؤقت. بالطبع، بعد أن يموت البارون وينتهي دورك سيختلف الوضع. الجميع يسألون كم ستأخذ ماري لور من الوقت وهي تمثل دور الأرملة الحزينة.»

ضحكت سيدوني: «مسكين آلان، لا بد أنه غاضب! لقد خاض كل هذه المشقة حتى يتزوجك، وعليه الآن أن يواجه الطلاق. لو أنه انتظر بضعة أسابيع أخرى، لكانت ماري لور حرة في أي حال. الكل يجد الوضع ممتعاً، أنت تفهميننني.»

«إني أصدقك تماماً.» جاهدت فيليبا حتى تخفي غثيانها الذي كاد أن يغمرها وأضافت: «ستحل مشكلاتهما عندما أصاب أنا أيضاً بذبحة قلبية... وأختفي فجأة من حياتهما.»

ضحكت سيدوني ثانية: «لا أعتقد أن آلان وصل إلى هذا

www.rewity.com/vb

الحد. أنا متأكدة من أنك ستجدينه كريماً إذا وافقت على الطلاق من دون أن تفتعلي أي متاعب.»

كان قلب فيليبا يطرق ببطء وبألم بين أضلاعها.

«في تلك الحالة، لا داعي لأن أقلق.» أجبرت نفسها على الابتسام. «أتمنى أن يكون تسوقك ناجحاً.» تفحصت فيليبا فستانها الأصفر الباهت. «أنصحك بتغيير المحل الذي تختارين منه ثيابك.» أضافت فيليبا وابتعدت عنها وهي مدركة نظرة سيدوني الحانقة.

توقفت فيليبا في آخر الشارع، ثم أسندت نفسها إلى الحائط للحظة. كانت ترتجف وقدماها لا تقويان على حملها. تملكها الغضب واليأس وشعرت أنها على وشك أن يغمى عليها.

هل كانت هذه نية آلان فعلاً؟ هل يريد طردها حتى يتزوج ماري لور؟ هل سيرشيها بالمال؟ ضغطت أظافرها على راحتي يديها بقوة.

لقد بدا شارد الذهن فعلاً في الفترة الأخيرة، لكن نظراً لوضعهما الحالي لم تجرؤ على أن تسأله عما كان يزعجه.

أغمضت عينيها. يبدو أن الجميع متأكد من أن البارون لن ينجُ من ذبحته القلبية، هذا ما أكدته سيدوني. صحيح أنه كان أكبر سناً من زوجته، لكن هذا لا يعني أنه يستحق الموت.

من المؤلم أن يُقضى على الانسان بهذه السهولة. لكن، على الأقل لا يعرف. لم يوقفه أحد في الشارع ويخبره أنه لم يعد مرغوباً في وجوده، وأن باريس كلها تتساءل عن هوية وريثه.

«مدام؟» كان مارسيل يتقدم نحوها، والقلق ظاهر فوق وجهه. بدا قلقاً. «هل أنت مريضة؟»

لا جدوى من التظاهر بأن كل شيء على ما يرام، بينما هي تستند إلى الحائط، ترتجف كورقة في مهب الريح وبوجه شاحب.

«شعرت بدوار، هذا كل ما في الأمر.» قالت.

ساعدها مارسيل على الدخول إلى السيارة وأبقى نظره من خلال المرآة عليها فيما ينطلق بها إلى البيت بحذر شديد.

ربما لا يريدني أن أتقيأ على الفرش الفخم. فكرت فيليبا والدموع تنهمر من عينيها.

لا بد أنه أستعمل هاتف السيارة بينما كانت تصعد إلى الشقة لأن مدام جيسكار كانت في انتظارها في قلق واضح.

قبل أن تعي ما كان يحصل، وجدت نفسها مستلقية على السرير، وحذاؤها مرمياً على الأرض، الستائر مسدلة وقطعة قماش معطرة موضوعة على جبينها، وإلى جانبها قدح يصدر بخاراً ينتظرها على الطاولة. لم يكن لديها أي فكرة عما في داخله، لكنها شعرت بالانتعاش وبالاسترخاء بعد أن شربته. لم تستطع النوم لأن الأحلام لاحقتها حتى هناك ووجدت نفسها تركض داخل كنيسة كبيرة، تحاول أن تصل إلى المذبح حيث كان يقف آلان، ولاحظت أن يديه ممدودتان... لكن ليس لها.

نادته باسمه، بألم، وسمعت إجابته. فتحت عينيها فوجدته ينحني فوقها.

«ما بك؟ لقد أخبرتني مدام جيسكار أن مارسيل وجدك مريضة في الشارع.»

www.rewity.com/vb

«ليس تماماً.» حاولت فيليبا أن تجلس قائلة: «شعرت بدوار للحظة. لا شيء مهماً.»

«حقاً؟» جلس على حافة السرير وهو مقطب الجبين. بقي صامتاً للحظة ثم قال: «فيليبا، هل يعقل أن تكوني حاملاً؟»

توردت وجنتاها بسرعة «كلا، بالطبع.» وفكرت للحظة أنه كان مهتماً بها، لكن سرعان ما تبدل تعبير وجهه وخاب أملها.

بالطبع، فكرت والغضب يتملكها من جديد، زوجة حامل، سيكون من الصعب نبذها. وإذا كان لا بد من وجود طفل، فهو يريده من المرأة التي يحبها، برغم أنها لا تبدو مستعدة لتشويه مظهرها لمدة تسعة أشهر.

«من حسن الحظ أن هذا بعيد الاحتمال.»

«كلا؟» كان ما يزال عابساً وهو ينظر إليها بفم ساخر.

«أنت أدرى بذلك، بالطبع.» حدق إلى الأرض للحظة ثم قال ببطء: «ساتركك حتى ترتاحي قليلاً، يا زوجتي، لكن علينا أن نتحدث بجدية قريباً، أنت وأنا.»

وثب قلبها من مكانه. «ـ ليس من الضروري...»

«أنت على خطأ.» قاطعها آلان، بدت ابتسامته حزينة. «أؤكد لك، يا حبيبتي، أن هذا ضروري جداً.» ورفع يدها وقبلها برفق وغادر الغرفة.

بعد أن تركها بمفردها ثانية، لم تستطع فيليبا منع دموعها من السقوط. كانت تعرف بما سيناقشها، وأرادت أن تخبره أنها لا تمانع، وأنها ستوافق على الطلاق بشرط أن يبقى علاج كيفين مستمراً.

أريد حريتي فقط، فكرت، وبأسرع وقت.

لكن هذا لا يحتمل. اعترفت بذلك، وهي تحدق في ظلمة المساء. فهي لن تتحمل فكرة هجره لها. وعرفت ذلك، في قلبها، أنها لن تكون حرة أبداً.

أيقظتها مدام جيسكار في الصباح التالي ومعها صينية الفطور.

«هذا لطف منك.» قالت على نحو مربك، وهي تحاول الجلوس.

«هذا واجبي، مدام.» تفحصتها بدقة. «كيف حالك هذا الصباح؟»

«حسنة، لا بد أنني أصبت بالشقيقة.»

بدت مدام جيسكار وكأنها أصيبت بخيبة أمل وهي تخرج من الغرفة.

يا إلهي، الجميع يعتقد أنني حامل! فكرت فيليبا وهي ترشف عصير الإجاص.

بخلاف آلان، كانت مدام جيسكار تتمنى ذلك. ربما هي تخفي هذا الوجه اللطيف من طبيعتها وراء سلبيتها المصطنعة والمدربة عليها جيداً.

عندما أمسكت الكعكة المحلاة، لاحظت وجود مغلف وفي داخله ورقة بخط آلان.

«لقد وصلت هذا الصباح. أعتقد انها ستفرحك. لن أعود إلى البيت إلا في وقت متأخر في المساء، ربما ستكونين جاهزة لمناقشتها معي غداً.» كانت موقعة بأحرف إسمه الأولى.

www.rewity.com

كانها منكرة قضائية، فكرت بمرارة، لكنها كانت في الواقع أول اتصال خطي تتسلمه منه وهذا جعل المنكرة بطريقة خاصة.

عندما أخرجت الأوراق المطبوعة من المغلف اكتشفت باندهاش أنها تقرير مفصل عن كيڤين من العيادة.

لم تعن لها شيئاً المصطلحات الطبية التي استعملت كثيراً لكن كانت الخلاصة في النهاية أكثر وضوحاً، ومن الممكن فهمها.

مع أن العلاج كان تجريبياً، لكنه كان ناجحاً من دون أي مضاعفات. واستبدلت الأدوية بالتمارين الرياضية التي تجاوب معها تماماً. يقول الطبيب إنه ليس من الضروري إبقاؤه لعدة أسابيع أخرى في العيادة، مع أن المريض سيستمر في تلقي العلاج ربما لبقية حياته، ومن الأفضل أن يخضع بعد عودته إلى البيت لعلاج طبيعي.

استوعبت هذه الكلمات «عودته إلى البيت» بسيل من الدموع. كيڤين بخير. فكرت غير مصدقة، بإمكانه أن يرسم ثانية.

وضعت صينية الفطور جانباً ونهضت عن السرير بسرعة البرق. زاك، فكرت. ساتصل به حالاً. سيفرح كثيراً. لبست رداءها ثم توجهت إلى غرفة الاستقبال. كانت جريدة الصباح ملقيّة إلى جانب الهاتف، أمسكتها بنفاد صبر، وحدقت إلى صورة البارون سومرفيل.

عرفت معنى ذلك بسرعة. جلست على احد الكراسي تقرأ النعي المرفق بترجمة موجزة عن حياة الفقيد، عمله في الحكومة، وانجازاته العسكرية في الهند الصينية. وقد

ذكروا زوجته أيضاً، وأن لا أولاد له. وصرحوا بأن ممتلكاته وثروته المستقبلية ستنتقل إلى ابن عم مجهول.

وضعت فيليبا الجريدة برفق على الطاولة ثم حملقت في الحائط العاري. هناك أشياء أهم لم تذكر. مثل خطط الأرملة الحزينة للزواج ثانية. هل ذهب الآن إلى هناك... ليكون مع ماري لور؟ ولذلك أخبرها بأنه سيتأخر؟ إذا كان تفكيرها صائباً، فهذا غير لائق أبداً.

ماري لور حرة، وكيڤين شفي، فكرت. هذا يلغي كل التزامات الطرفين. وهذا ما سيخبرني به غداً.

وقفت ببطء. شعرت فجأة بالبرد يلفحها، وأحكمت حزام ردائها وهي ترتجف.

ربما لم تكن مستعدة لأن تقف موقف المتفرج بخنوع، وتنتظره حتى يملي عليها أوامره الصارمة. وربما لا تريد أن ترى ماري لور وهي تأخذ مكانها. وتعرف أن الجميع يتحدث عنها، ويشفق عليها. كلا، هذا شيء لا يمكن توقعه الآن.

يجب أن أفعل شيئاً، فكرت. وإلا لن أستطيع تحمل ذلك.

تجولت في الصالون وحدقت إلى لوحة والدها المسلطة عليها أشعة الشمس. كانت في كل مرة تدخل فيها إلى الغرفة تجد نفسها مشدودة إليها وتبتسم للذكريات التي كانت تثيرها.

سافتقدها، عندما أذهب... فكرت فيليبا، توقفت لبرهة عن التفكير ثم تنهدت حين حلت الإثارة محل الشعور بالبرد.

كانت بحاجة إلى مكان ما تذهب إليه. وقد أخبرها زاك أنها بحاجة إلى بعض العزلة لترسم. هذا ما يجب أن تفعله

www.rewity.com/vb

ستأخذ ما يكفيها من الثياب، وبعض المال الذي خصصه لها آلان لإعالتها، وستذهب إلى مونتاسكو. ستستأجر مكاناً ما... ربما البيت القديم بالطبع إذا ما زال موجوداً... وترسم فقط، ربما سينفد منها المال، وسترى عندئذٍ إذا كان بمقدورها أن تنجح، تماماً كما فعل والدها من قبل.

وبعد أن يُسمح لكيڤين بترك العيادة، سيكون لديها بيت على الأقل يجمعهما معاً، حيث سيكون في مقدورهما أن يعملا بحرية والبدء بحياة جديدة.

سنتشارك المحترف، فكرت، كما خططنا دائماً.

ربما لم يكن كيڤين بحاجة ليعرف عن آلان. وهي تفضل أن تبقي هذا الجرح سراً.

تمنت، وليس للمرة الأولى، لو كان باستطاعتها أن تقود سيارة. كان الأمر سيسهل عليها لو أنها وضعت حقيبتها وأدوات الرسم في السيارة، بدل أن تحملها طوال رحلة القطار الصعبة والمعقدة.

ستكون راضية أكثر عندما تعرف أنها هي التي تخلت عن هذا الزواج. لن تعطيه الفرصة حتى يطردها بنفسه، لأنها هي التي ستتركه أولاً. وسيكون مرتاحاً من دون شك، لأنها أخذت الأمور على عاتقها، ولن يشعر بأن كبرياءه قد جرحت.

إنني مسرورة. أتمنى أن يضحك الجميع عليه.

ألقت نظرة أخيرة على الصورة، ثم استدارت بعيداً. عليها أن ترتدي ملابسها، وأن ترسم بعض الخطط.

• • •

رفع زاك حاجبيه عندما أخبرته بقرارها.

«إنها فكرة صائبة، يا عزيزتي، ولكنني لست واثقاً من دوافعك.» قال: «الذهاب في رحلة شيء، والهروب شيء آخر.»

هزت فيليبا كتفيها من دون مبالاة: «ظروف يائسة تتطلب خطوات متهورة. هذه أصبحت حكمتي في الحياة.»

«حقاً؟» رمقها بنظرة شك. «ولا تنسي أن رسمك أيضاً ميؤوس منه، وبحاجة إلى جهد كبير منك. حاولي أن تجدي المكان المناسب.» احتضنها بمحبة. «وعودي قوية إلي.»

كان فابريس ينتظرها في المقهى. وقف عندما أقتربت من الطاولة، وبدا وجهه جدياً.

«فيليبا، هل رأيت جريدة الصباح؟»

«نعم، رأيتها.» جلست وأشار إلى الخادم ليحضر القهوة. «فابريس، هناك شيء يجب أن أخبرك به. إني راحلة، وقريباً جداً. أنوي أن أستأجر بيتاً هناك وأتفرغ للرسم كلياً.»

بدا مصدوماً. «تعنين أنك... ستهجرين زوجك؟»

«سأرحل بداعي الرسم فقط. أحتاج إلى بعض العزلة.»

«لا.» أحنى فابريس رأسه نحوها وبدا متوتراً: «يجب ألا تبقي وحيدة. فأنت مازلت شابة ولا تستحقين ذلك. فيليبا، حياتي... ليس كل الرجال قساة كآلان دي كورسي. دعيني أبرهن لك عن ذلك. أريد أن أكون إلى جانبك... وأن أحبك.»

عضت فيليبا شفتها وهي تخفي فزعها. كان يجب أن تفكر بذلك.

«كلا، يا فابريس.» قالت بلطف: «هذا مستحيل. لست بحاجة إلى علاقة... غرامية.»

www.rewity.com/vb

«ربما، ليس بعد، ولكن سيحصل ذلك بالتأكيد، وأستطيع أن أكون صبوراً.» أخذ يدها وداعب كفها بإبهامه. «دعيني أرافقك، فيليبا. سأهتم بك وأحميك. لن أطلب منك شيئاً بالمقابل. ستسير الأمور وفق إرادتك. أعدك. لقد استحق موعد عطلتي وباستطاعتي أن آخذها في أي وقت. وسأوصلك إلى أي مكان عندما ترغبين بذلك. غداً إذا أردت.»

حملقت فيه. كان العرض مغرياً، مع أنه كان حافلاً بالمخاطر. كان فابريس يعرف أنه لن يصبر طويلاً، لأنها ستكون مسألة وقت قبل أن تحثها الوحدة على الاستسلام له. سيكتشف غلطته في وقت قريب.

إذا أرادت فعلاً أن تنتصر على آلان... تحطم كبرياءه... هل هناك أفضل من هذه الطريقة؟ من العدل أن تدعه يظن أنها تركته من أجل رجل آخر.

«ستمل كثيراً.» قالت ببطء: «أنا أنوي فعلاً أن أرسم بجدية. سأستأجر مثالاً و...»

«بامكاني مساعدتك.» قال بحماس: «باستطاعتي أن أحضر الطعام لكلينا. وباستطاعتي أن أكون حتى مثالك، ولِمَ لا؟»

كان بمقدور فيليبا أن تفكر بعدة أسباب، لكنها أبقتها لنفسها. ستكون هناك فوائد كثيرة نتيجة تركها باريس مع فابريس.

إذا استقلت القطار سيقتفي آلان أثرها، وهي لا تريد ذلك. تريد فقط أن تختفي من حياته، على الأقل مؤقتاً، وستترك له مذكرة تخبره فيها أن محاميها سيتصل به لمناقشة الطلاق.

لا تريد أي اتهامات أو أي محاولة لإبقائها، حتى تتابع دورها كبديلة لماري لور كي تنتهي هي بدورها من فترة الحداد. لا يستطيع أن يضغط عليها بعد الآن، وخاصة بعد أن استرد كيڤين صحته. لكن بامكانه أن يحاول حتى اقناعها...

لن تستطيع تحمل ذلك. هي بحاجة لأن تبتعد عنه، وفي أقرب وقت. وباستطاعتها أن تعالج موضوع فابريس، أليس كذلك؟

نظرت إليه وابتسمت قائلة: «غداً، يناسبني تماماً وفي أبكر وقت.»

www.rewity.com/vb

الفصل الثامن

بدأ المطر ينهمر في جنوبي بريغو. فيما هي تراقبه يضرب بعنف على الحاجب الزجاجي، فكرت فيليبا أنه يطابق مزاجها تماماً.

اختلست نظرة جانبية إلى رفيقها.ولاحظت انفعاله، ينظر من خلال المرآة إلى الخلف بخوف شديد. ربما بدأ يدرك بأن الهرب مع زوجة آلان دي كورسي لم يكن العمل الأكثر صواباً في حياته، فكرت مستاءة. إذا كانت محقة في تفكيرها، عندئذٍ لن ينزعج عندما تخبره أن لا مكان له في حياتها حتى ولو مؤقتاً.

حاولت جاهدةً أن تبرر موقفها من فابريس، على أساس انها ستقع يوماً ما، ربما في المستقبل البعيد في حبه. لكنها عرفت أن هذا لن يحصل أبداً. كان قلبها ملك آلان وحده، وسيظل دائماً حتى لو يرفضها.

يا لها من مشكلة! فكرت، وهي تراقب المطر بنفور.

لكن عليها أن تعترف بنجاح هروبها والذي لم تعترضه أي عقبات. استمدت قوتها من فابريس الذي اتصل بدوره بمدام بيتون في مونتاسكو بالنيابة عنها وتأكد من امكانية استئجار البيت القديم، بينما كانت هي تبتاع أدوات الرسم. تذكرت مدام بيتون الآنسة روسكو مرحبة، وأخبرته بأن البيت سيكون تحت تصرفهما لمدة شهرين على الأقل.

لم يتبق لديها سوى توضيب حقيبتها الصغيرة، بعد أن اطمأنت إلى أن أدوات رسمها أصبحت في سيارة فابريس. وضعت فيها بنطالها الجينز وبعض القمصان والكنزات الدافئة وحذاءها الرياضي وكل مستحضرات التجميل وتأكدت من عدم لمس جهاز عرسها. تركت عقدها اللؤلؤي وخاتم زواجها وكل المجوهرات التي أهداها إياها آلان مع مذكرة قالت فيها إنها هربت مع رجل آخر... حسناً، برغم أنها تكاد تكون نصف الحقيقة، فكرت على نحو دفاعي... وطلبت منه ألا يبحث عنها.

سحبت فيليبا بعض المال من حسابها الخاص أيضاً، ومبلغاً صغيراً من مصروفها يكفيها لمدة شهرين.

فيما بعد، يجب أن تعتمد على دخلها الخاص. هناك دائماً سياح في جنوبي – غربي فرنسا يتمنون الحصول على لوحات تمثل طبيعة هذه المنطقة. ستحاول أن تستغل الوضع، قالت لنفسها بتفاؤل.

كان هروبها من الشقة بعد فجر ذلك الصباح بوقت قصير سهلاً، وساعدها على ذلك غياب آلان عن البيت.

حاولت أن تخفف من آلامها بقولها إن عليها أن تكون شاكرة لأنها عالجت الاقفال وجهاز الانذار من دون أن تحدث أي صوت وأسرعت إلى حيث كان ينتظرها فابريس في السيارة من دون أن يراها أحد.

تساءلت ماذا ستكون ردة فعلها، لو حاول فابريس التودد إليها في طريق الرحلة؛ لكنها لم تكن بحاجة إلى أن تقلق. لقد بدا مغلوباً على أمره. وشارد الذهن على نحو مفاجىء وكان من الواضح أنه يخشى أن يتبعه أحد، أكثر من اهتمامه

www.rewity.com/vb

بلعب دور العاشق. وهي تشعر بالامتنان لذلك. تمنت لو كان تصرفه أقل توتراً.

«إهدأ.» قالت بانزعاج، عندما نظر مرة ثانية إلى الوراء: «لا أحد يلاحقنا. باعتقادي، أنه ان أزعج آلان نفسه بملاحقتي، فهو سيعتقد أنني في طريق العودة إلى انكلترا، وسيبحث عني في المرافىء، فقط.»

«لا نستطيع التكهن بما سيفعله؟» تمتم فابريس. بدا عابساً وخائفاً قليلاً، بخلاف شخصيته الساحرة التي عرفتها في باريس. هل سيُوقف فابريس دي تيبيري سيارته ويعود أدراجه، فكرت بأسف.

أرادت أن تأكل شيئاً، لكنه أصر على متابعة الطريق، ووعدها بأن يشتري بعض الخبز والجبن من أحد المتاجر، ويقوما بنزهة في الهواء الطلق.

لكنها لا تستطيع أن تتذمر من قيادته. ربما كان يسرع من شدة الخوف، لكنهما اكتسبا بعض الوقت حتى يصلا إلى مونتاسكو قبل المساء. لقد وعدتها مدام بيتون بترك بعض المؤن الغذائية في البيت. وإذا استطاع فابريس أن يخفف من توتره، ففي إمكانه أن يبرهن لها عن قدرته في الطهي.

كانت معتادة على شمس مونتاسكو الساطعة كما رسمها والدها بالضبط. من الغريب أن تجد شوارعها المألوفة لها،مهجورة تقريباً تحت السماء الملبدة بالغيوم، والمطر الذي ينهمر بغزارة أكثر من أي وقت مضى.

عبرا الجسر ثم انحرفا عن الطريق الضيقة مروراً بمنحدر ثم بمنعطف قادهما إلى البيت.

وثب قلب فيليبا من الفرح وهي تميل برأسها إلى الأمام

حتى ترى شكل البيت. إنها تشعر وكأنها عائدة إلى وطنها.

كان بيتاً بسيطاً، سقفه مزين بالقرميد، وعلى السطح، غرفة صغيرة كان كيڤين يستعملها كمحترف، وستفعل هي الشيء نفسه.

«إبقي هنا.» أمرها فابريس بتهذيب عندما أوقف السيارة أمام البيت: «سأحضر الحقائب.»

شعرت بالذنب وهي تراقبه يجاهد، لإحضارها تحت المطر الغزير دفعة واحدة. لكنه عندما عاد ثانية، أحضر معه مظلة.

ناولها المظلة وقال: «استعملي هذه. سوف أوقف السيارة في الكاراج في الخلف.»

سمعت صوت محرك السيارة وهي تسرع إلى البيت. دفعت الباب بقوة وتوجهت إلى غرفة الجلوس مباشرة. كانت الأنوار مضاءة كلها، جعلت المكان يبدو أكثر إبهاجاً. اشتمت أيضاً رائحة شهية تصدر من المطبخ.

تنهدت فيليبا بارتياح وهي تنظر حولها وتغلق مظلتها المبللة. لم يتغير أي شيء، فكرت فيليبا وهي تنظر إلى الخزانة القديمة بأطباقها الزرقاء والبيضاء، والطاولة الكبيرة التي تتوسط الغرفة والمغطاة بقماش زيتي.

وضعت المظلة في المغسلة ورمت محفظتها الصغيرة على الطاولة ثم صعدت السلالم مع حقيبتها. لم يكن البيت كبيراً، ولكن كانت هناك غرفتان للنوم وحمام صغير. فتحت باب الغرفة ودخلت. يبدو أن مدام بيتون رتبت كل شيء، حتى السرير الكبير بغطائه المخملي.

www.rewity.com/vb

تفحصته فيليبا بحزن... كان كبيراً جداً لشخص واحد، واحتل مع الدريسوار كل مساحة الغرفة تقريباً.

وضعت حقيبتها في إحدى الزوايا، ثم راحت تتفحص باقي الغرف. فتحت باب غرفة النوم الثانية، وتوقفت. كان السرير عارياً تماماً.

ومع ذلك طلبت من فابريس بكل صراحة أن يخبر مدام بيتون أن تحضر الغرفتين. ربما لم تفهم كلامه جيداً بسبب رداءة الاتصال.

من ناحية أخرى، وعلى الرغم من تصرفات فابريس الشهمة، ربما هو يحاول أن يجبرها على مواجهة نهائية. ويضعها تحت الأمر الواقع، حتى تضعف مقاومتها. يجب عليه أن يعيد النظر في ذلك!

كان صوت المطر وهو يتساقط على السطح عالياً وموحشاً.

خطر في بالها، وليس لأول مرة، أنها تصرفت بطيش، عندما أتت إلى هذه البقعة المعزولة مع رجل لم تعرفه جيداً. حاجتها اليائسة للهرب من باريس لتنقذ كبرياءها، وذلك بأخذ المبادرة بتركها لآلان قبل أن يطردها من حياته، شوشا تفكيرها.

آخر شيء تريده في هذا العالم، لاحظت بأسف، هو قضاء ليلة حتى لو كانت واحدة مع فابريس تحت سقف واحد. كانت شاكرة لمساعدته لها، ولكن هذا لن يمنحه الحق في التمادي معها.

تنهدت. عليها أن تحضر له الطعام أولاً ثم تطلب منه بصراحة... أن يجد مكاناً آخر في مونتاسكو لينام فيه، حتى لو اضطرت لأن تدفع مالها كله.

تمنت لو أنه يذهب من دون أي اشكالات. لم تعده بشيء، لكن وجودها معه هنا، وضعها في موقف حرج.

سمعت باب الطابق الأرضي يُغلق. شبكت كتفيها. قررت أن تنزل وتواجهه قبل أن يصعد ويجدها في غرفة النوم.

أخذت نفساً عميقاً ونزلت السلالم، وهي تفكر بما ستقوله. كان يقف وظهره مواجهاً لها، ينفض الماء عن معطفه. والآن، بعدما أصبحت بمفردها معه، بدا أطول قامة وأعرض بنية... بالاجمال كان يبدو رائعاً في هذا المحيط الضيق والعادي، أو هل أنها تتوهم فقط؟

«فابريس...» عرفت أن صوتها كان ناعماً، لكنه كان متوتراً. «فابريس، كنت أفكر...»

توقف الكلام في حلقها، عندما استدار لمواجهتها. أحكمت قبضتها على حافة الدرابزين، حتى أبيضّت مفاصل يدها عليه. وتلاش صوت المطر بفعل ضربات نبضها العنيفة، وهي تحملق فيه. إنها لا تحلم، فكرت، لكنه كان واقفاً أمامها بلحمه ودمه، شحمه وعظمه. يا إلهي... الآن.

قال بلطف، لكن من دون أن يبتسم: «ماذا كنت تفكرين، مدام؟ أعتقد أن لديك الكثير من الطعام.»

«أنت!» كان صوتها أجش. «ماذا تفعل هنا؟»

«هو من المفترض ألا يتواجد الزوج إلا مع زوجته!»

وضع معطفه على الكرسي، ثم تقدم خطوة نحوها. تراجعت فيليبا: «لا تقترب مني، أين فابريس؟»

هز آلان كتفيه بلامبالاة. «أعتقد أنه ما زال في المرحلة الأولى من رحلة العودة إلى باريس. قد تجدين ذلك مؤسفاً، تشعرين بالندم؟» ابتسم بسخرية: «إني آسف،

www.rewity.com/vb

يا زوجتي، سأعمل المستحيل حتى... أعوض عليك.»

بدت هذه الكلمات، وكأنها تجمدت بينهما في الهواء. وفجأة بدا الدرابزين الخشبي تحت أصابعها الشيء الوحيد الثابت في هذه الدوامة.

أرجعت رأسها إلى الوراء وقالت: «لست بحاجة إلى مؤاساة أحد. ولا أريد شيئاً منك، الآن سوى حريتي. ممكن أن يكون طلاقنا سريعاً ومن دون أي عقبات كما تريد. لقد أعدت إلي أبي ولن أطلب منك أي شيء آخر. أقسم لك بذلك. فقط طلاق هادىء.»

«تجعلين الأمر يبدو سهلاً.» قال بلطف: «ربما أنا لست مستعداً لأن أتخلى عنك. ربما لا تريدين شيئاً مني، لكن أنا أريد الكثير منك.»

«أنت مجنون!» بدأ قلبها يخفق بسرعة. «ماذا علي أن أقول حتى أقنعك بأن هذه... المسرحية قد انتهت؟ لقد هجرتك الآن لأبدأ حياة جديدة. لا أعرف كيف وجدتني...»

«الأمر كان سهلاً. وضعتك أنت ومنقذك تحت المراقبة منذ أن تعرضت لحادث السرقة.»

«ماذا فعلت؟» ارتفع صوتها: «إني لا أصدق ذلك!»

«لماذا؟ هل اعتقدت بأنني لن أقوم بأي خطوة لأحمي مصالحي... وأنني سأتخلى عنك بهذه البساطة؟» كان صوته ساخراً: «كان كل شيء مدروساً، صدقيني، وخاصة مقابلتي مع حبيبك المفترض البارحة. يجب ألا تثقي بالناس جميعاً، يا حياتي. شاب مثله يُشترى بسهولة، لا يستحقك.»

«يُشترى؟ إني لا أفهم.»

«هذا واضح.» قال بطريقة جافة: «أتمنى ألا تكونين قد تعلقت به كثيراً، يا فيليبا. وخاصة أن عمي دفع له حتى يغويك.»

صرخت وجلست على السلالم. قالت بصوت أجش: «أنت تكذب.»

«إذا كنت أكذب فعلاً، لماذا لم يبق ويساندك؟ وتطلبين مني أن أخرج من حياتك؟» بدا آلان متعباً فجأة. «أثار حادث السرقة شكوكي. كل شيء كان مدروساً بدقة بالغة. لذلك قمت ببعض التحريات، واكتشفت أن فابريس كان يعمل عند عمي لويس، وكان يزوره يومياً، وربما يقدم له التقارير عن علاقتكما.»

«هذا غير معقول! لماذا فعل عمك ذلك؟»

«الأمر بالنسبة له معقول جداً. فهو يتمنى أن يتداعى زواجنا. ويبدو أنه أخبر الجميع بأن خياناتي الزوجية، ستعود بك إلى حافة الانهيار. يتكلم عنك باهتمام وبعاطفة... زوجة ابن أخيه البريئة والمخدوعة. يقول بأنك حزينة جداً... ولكن لا يلومك أحد إذا هربت مني. وبذلك... يحصل على الفضيحة التي طالما انتظرها، ويجد العذر الكافي ليخوله مهاجمتي ثانية، وتشويه سمعتي، ويؤكد بعد ذلك لمجلس الشركة أنني غير جدير برئاستها. والأشخاص الذين استمعوا إليه في المرة السابقة، سيستمعون ثانية، وربما بانتباه أكثر.»

أخذت فيليبا نفساً عميقاً: «لا يعقل أن يكون هناك شخص بهذه الحقارة. لن أصدق أي كلمة مما تقول.»

«اعتقدت بأنك ستقولين ذلك.» سحب آلان مغلفاً من جيب

www.rewity.com

معطفه. «لقد أجبرت صديقك على الاعتراف خطياً. كان صريحاً جداً. هل تريدين قراءته؟»

«كلا.»

«لا تياسي، يا عزيزتي. يبدو أنه استمتع برفقتك كثيراً.» توقف قليلاً. «أتمنى ألا تكوني سهلت عليه مهمته.» ابتسم، لكن كانت عيناه قاسيتين.

أحنت فيليبا رأسها: «إذا كنت فعلاً تراقبني، وقرأت هذه المذكرة فهذا يعني أنك تعرف الإجابة مسبقاً.»

«ومع ذلك، أحب أن أسمع تأكيدك الشخصي.» بدا صوته مصمماً. «أخبريني، يا زوجتي العزيزة، هل منحته نفسك؟»

«كلا.» قالت على نحو حاسم.

«إذاً، كانت هذه ستكون أول مرة لكما. يا صغيرتي المسكينة هل أفسدت عليك مشاريعك؟» كان صوته ساخراً. «في هذه الحالة، أقل ما يمكن عمله بعد أن حرمتك من حبيبك، هو أن أجد لك بديلاً.»

«ماذا تعني؟» أصبح صوتها فجأة جافاً.

«أعني بأن زواجنا لم ينته. بخلاف ذلك، إنه على وشك أن يبدأ.» تفحص الآن الغرفة وأضاف. «ربما هذا ليس المكان المناسب لقضاء شهر العسل لكنه سينفع.»

«شهر العسل؟» صرخت فيليبا بغضب ووقفت بسرعة. «أي لعبة تلعبها معي الآن، يا آلان؟»

«ليس هناك أي لعبة. أنت زوجتي، ولن يمتلكك أحد غيري. لقد حان الوقت لأوضح لك ذلك.»

«ولقد حان الوقت لأوضح لك شيئاً أيضاً.» قالت فيليبا بصوت عال: «جئت إلى هنا حتى أبدأ حياة جديدة خاصة

بي... لأرسم... لأجد بيتاً لوالدي يأويه، بعد أن يعود من الولايات المتحدة. ليس لك مكان هنا.»

«ومع ذلك كان يوجد مكان لفابريس دي تييري.»

«ليس بالطريقة التي تفكر بها.» نظرت إليه. «ومن أنت حتى تحاكمني على تصرفاتي بعد أن...» توقفت، وأخذت نفساً عميقاً. «كنت بحاجة إلى من يقلني إلى هنا، فابريس كان... سيهتم بشؤون البيت فقط، ويكون مثالي، هذا كل ما في الأمر.»

«آه، كلا، يا جميلتي. أنت لست بهذه السذاجة، ولا أنا أيضاً.»

«فكر كما تريد.» قالت له بتحد، وهي تعيد إلى ذهنها ذكريات هواجسها: «أرجوك، لا تحكم علي بمقاييسك المنحطة. لا أريد حبيباً. جئت للعمل فقط، ولأبدأ حياتي من جديد.»

«وماذا عن حياتنا معاً؟» كان صوته هادئاً.

«ليست لدينا أي حياة.» عضت فيليبا شفتها. «أنا لست بزوجتك. لم أكن كذلك أبداً. الأفضل أن نفترق. عندئذٍ يمكنك أن تتزوج... من صديقتك.»

«شكراً لأنك سمحت لي بذلك... لكن هل أنت متأكدة بأنها تريد الزواج مني؟ فهي الآن أرملة ثرية.» قال آلان ببطء.

نظرت فيليبا إلى الأرض وهي تتذكر ماري لور بين ذراعي آلان. «هذا شأنك الخاص.» قالت بصوت خفيض.

«هذا صحيح. لكن ما زال هناك بعض الأمور المعلّقة، والتي تحتاج لمناقشة، يا زوجتي.»

«اعتقدت أنك ستكون مسروراً... وممتناً بعد أن أخرج من

www.rewity.com/vb

حياتك. السعادة أمامك الآن... ولن يمنعك أحد من التمتع بها. ولن يتجرأ عمك على افتعال فضيحة ثانية، بعد أن تتزوج البارونة.»

رفع آلان حاجبيه وقال: «يبدو أنك خططت لكل شيء.»

«كان لدي متسع من الوقت لأفكر بالموضوع... وأتخذ القرار المناسب.»

نظر آلان حوله: «هذا هو؟»

«أعتقد ذلك.» رفعت ذقنها. «لا أعتقد أن المكان يليق بك، لكنك جئت إلى هنا، بملء إرادتك.»

«لا أحتاج إلى من يذكرني بذلك. هل لي أن أذكرك بشروط اتفاقنا؟»

لفت فيليبا ذراعيها حول جسدها على نحو دفاعي. «لن أعود إلى باريس وانتظرك حتى تطلقني.» قالت: «لا داعي لبقائنا معاً بعد الآن. لقد تحسنت صحة كيڤين، وأنا ممتنة لك، وسأظل دائماً. فعلت ما بوسعي لأقوم بدوري جيداً، وإني آسفة إذا كنت تشعر بأنني لم أستحق مالك. بصراحة، لن أتحمل أكثر.»

«لم أكن أفكر بقيمة الأشياء.» قال ببطء: «هل تناسيت رغبتي في الحصول على وريث؟ أوضحت لك ذلك عندما طلبت منك الزواج.»

وجدت صعوبة في التنفس، وهي تحدق فيه غير مصدقة. «كلا، لم أنسَ. لكن الوضع يختلف. في هذه الظروف لا يمكن أن تتوقع مني...»

«لماذا؟» كان صوته ناعماً، وعيناه باردتين.

حاولت أن تضحك: «لأن هناك حياة ثانية تنتظرك. بإمكانك أن تكوّن عائلة عندما تتزوج ثانية.»

«ربما لدى العروس المفترضة أفكار أخرى، تمنى زوجها السابق الحصول على وريث، لكنه مات دون أولاد في النهاية.»

إذاً لم يكن مسلوب العقل، فكرت فيليبا بحزن. كان يعرف حقيقة ماري لور، ومع ذلك أرادها له. طردت الفكرة من رأسها.

«عليك مناقشة ذلك معها، هذا لا يخصني.»

«يخصك بالتأكيد، يا عزيزي.» أسند آلان مرفقه على طاولة المطبخ وابتسم. «تتكلمين عن طلاقنا وزواجي مرة ثانية بثقة تامة، أنت مخطئة. أنا مقتنع بما عندي، ولا أريد أن أغير حياتي. هل فكرت بذلك؟»

«لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. لا أحد يستطيع. ألا تريد أن تكون سعيداً... بزواج حقيقي من المرأة التي تحبها؟»

وافق قائلاً: «بالطبع لكن إذا كان الأمر مستحيلاً، لن أكون أول رجل يرضى بالبديل.»

رمقته فيليبا بنظرة احتقار وقالت: «ربما لا أريد أن أكون الزوجة الخنوعة والتي يتوجب عليها أن تتغاضى عن نزوات زوجها. هل فكرت بذلك؟»

«خنوعة؟» تمتم آلان: «كلمة لا تلائمك أبداً، يا حبيبتي.»

«أنا مسرورة لأنك فهمتني.» قالت: «ولن أسمح لنفسي بأن أستعمل كآلة لإنجاب الأطفال.»

«تتصورين الأمر كأنه عمل آلي!» ضحك بصوت عالٍ.

«كم مرة يجب أن أقول لك ذلك؟ لقد هجرتك، يا آلان. لم يكن يتعين علي أن أوافق على الزواج منذ البداية. لقد كانت غلطة فظيعة.»

www.rewity.com/vb

«نعم.» هز برأسه. «لكنها كانت غلطة، ويجب أن نستمر في تحملها لفترة.» توقف برهة. «على الأقل حتى أحصل على طفل.» تفحصت عيناه الخضراوان بصورة أثارت كيانها. «هل أن أمر إنجابه صعب للغاية؟»

تملكها الغضب عندما فكرت ملياً في طلبه. لو كانت الظروف مختلفة لاعتبرت الأمر رائعاً، وكأنها تعيش في جنة. لكن في الحقيقة هو لا يحبها... وهي مجرد امرأة ملائمة لأن تكون أماً لولده، وهذا هو الجحيم بحد ذاته.

نظرت إليه وهزت كتفيها: «لقد خططت لمستقبلي جيداً، ولن يغير كلامك قراري، يا آلان. لقد انتهى كل شيء.»

«تتكلمين بثقة تامة. ومع ذلك ولأول مرة منذ زواجنا الغريب، نحن بمفردنا تماماً. عندما تمر الأيام... والليالي... ألا تعتقدين أن باستطاعتي أن أقنعك بأن تكوني لطيفة أكثر معي؟»

«متى كان الجو لطيفاً بيننا؟» أحست بمرارة صوتها.

«نادراً، هذا صحيح، ولكن لن تسير الأمور دائماً هكذا. يمكننا... المحاولة من جديد.»

بدا صوته حزيناً... ومتواضعاً تقريباً، وحبست فيليبا أنفاسها. أرادت في هذه اللحظة أن تعبر المسافة التي تفصلهما، وتلقي بنفسها بين ذراعيه. سيكون الأمر سهلاً، ولكن مهلكاً. عندما أحست بضعفها، حاولت أن تعاود هجومها.

«ماذا عن مدام سومرفيل؟ هل طلبت منها الإذن لهذه المصالحة المؤثرة؟»

«هي تعيش الآن في عزلة.»

«آه، إني أفهم.» وقفت فيليبا. انتهت لحظة ضعفها وحزنها، وأصبحت متوترة ثانية: «كم أنا غبية! لا يمكنك رؤيتها وهي في فترة حداد. لذلك فكرت بأن تسلّي نفسك معي قليلاً. يالها من قصة! لا تكون الزوجة عادة مدركة هذه الأمور.»

«كيف تجرؤين؟» تقدم آلان خطوة نحوها. «اسمعيني جيداً، أيتها الغبية الصغيرة...»

«لقد سمعت ما فيه الكفاية. أريدك أن تذهب، يا آلان. اذهب.. الآن. ألم تفهم بعد؟»

«أنت التي لم تفهمي. بالله عليك، يا فيليبا لقد أتيت كي أراك... وأتحدث إليك...»

«لقد ضيعت وقتك.» تقدم خطوة أخرى نحوها، وتراجعت هي بدورها على السلالم ويداها ممدودتان إلى الأمام، وكأنها تدفعه عنها بعيداً. «كلا!» بدا صوتها هستيرياً. «لا تلمسني... لا تقترب مني...»

«يا إلهي.» همس أخيراً: «أنت خائفة مني. هل تجدينني فعلاً مرعباً؟»

ارتجفت: «إذهب... أرجوك.»

«حسناً.» كان هادئاً. «إذا كانت هذه رغبتك.» أخذ معطفه، ثم وضعه على كتفه، ولم تفارق عيناه عينيها ثم مشى باتجاه الباب.

عندما وصل إلى المدخل استدار. كان يبتسم، ولكن بدا وجهه متجهماً كالشتاء.

«الأمر مضحك. من بين كل النساء، زوجتي هي الوحيدة، التي لا أستطيع الحصول عليها. إلى اللقاء، يا جميلتي، أتمنى لك التوفيق.»

www.rewity.com

راقبت فيليبا الباب وهو يغلق وراءه. عندما أصبحت بمفردها، نزلت السلالم، تتلمس طريقها كالعمياء.

لقد ذهب آلان. لقد كانت قوية... وجريئة معه لدرجة أنها استطاعت أن تبعده عنها. الآن كل ما عليها أن تواجهه الوحدة، نتيجة جرأتها... في كل يوم تبقى من حياتها.

الفصل التاسع

كانت ما تزال جالسة تحدق في الفراغ، عندما فُتح الباب بعنف، بعد عدة دقائق، ودخل آلان بوجه متوعد.

قفزت من مكانها، مصدومة، فسقطت الكرسي إلى الوراء: محدثة ضجيجاً.

واجهها بشراسة من عبر الطاولة التي تفصلهما، وعيناه تقدحان شرراً ويداه مرفوعتان لإسكاتها عندما حاولت أن تتكلم.

«نعم، لقد عدت، لكن ليس بملء إرادتي، إني أؤكد لك ذلك، إذاً أرجوك أن تعفيني من اتهاماتك التي كنت على وشك أن تطلقيها بلسانك اللاذع.»

«إنك مخطىء.» ارتجف صوتها. «لا تستطيع أن تلومني لأنني فوجئت. اعتقدت بأنك في طريقك إلى باريس.»

«كنت أنوي ذلك. لكن يبدو أن حبيبك لديه أفكار أخرى...» توقف. «إطارات السيارة كلها مشقوقة. لن أذهب إلى أي مكان الليلة.»

«هل فعل فابريس ذلك؟» عضت فيليبا شفتها. «لكن لماذا؟»

هز كتفيه على نحو مقتضب وأجاب: «الحقد، أعتقد. أراد أن ينتقم لأنني اكتشفت حقيقته... وأفسدت عليه لعبته معك.» ابتسم لها بنفور: «ربما أخطأت في الحكم عليه، يا

www.rewity.com/vb

زوجتي. وربما لم تكن المسألة مادية فقط. ربما أرادك لنفسه.»

«أتمنى ألا تتوقع مني أن أشعر بالإطراء. إني آسفة بالنسبة للسيارة، لكن هذه ليست نهاية العالم. هناك مرآب في مونتاسكو. ستجد عندهم ما يكفي من الإطارات.

«إني متأكد.» قال: «غداً.»

هز رأسه بسخرية وهو يرى نظرة الرعب في عينيها. «لا أنوي أن أمشي كل الطريق تحت المطر كي أصل إلى مكان المرآب، الذي من دون شك، قد أقفل الآن.»

«وربما لا...»

«لست مستعداً لأبرهن لك ذلك، بطريقة أو أخرى.» قال بلطف. «إني على وشك أن أكون ضيفك الليلة...»

«هذا مستحيل!» لوت يديها بضعف. «بإمكانك أن تمضي الليلة في السيارة أو... هناك فندق صغير في آخر البلدة...»

«أتمنى أن تزدهر أعماله.» قال آلان بعبث: «لن أكون أحد زبائنه. ولن أعرض نفسي للمرض في السيارة. أنت لست مضيافة، يا عزيزتي.»

توردت وجنتاها: «لا تتوقع ذلك مني، أبداً.»

«أنا أيضاً.» تابع آلان ساخراً: «هل تتوقعين مني أن أفرض نفسي على فتاة، كانت منذ نصف ساعة ترتعد مني. لقد اكتفيت من ذلك في ليلة زواجنا. إذا كنت تتذكرين.» توقف بتعمد، وارتفع حاجباه بسخرية عندما نقزت. «أرجوك توقفي عن النظر إلي، وكأنك فارة وأنا هرّ جائع. دعينا نحاول أن نتصرف كأشخاص متمدنين على الأقل لما تبقى من هذه الليلة.»

«ربما أنت الذي شق إطارات السيارة.» قالت فيليبا ونبرة التمرد في صوتها.

تنهد: «ربما أنا الذي أنزل المطر، وأخّر الساعة حتى أمتع نفسي ليضع ساعات أخرى برفقتك، أيتها المرأة السليطة اللسان، الصغيرة. على كل حال، لم أفعل أي شيء من ذلك.» مشى حول الطاولة ثم أنهض الكرسي الذي على الأرض. «أرجوك، أهدئي قليلاً.» أشار إلى الفرن: «هل ستتناولين ذلك الطعام أم ستدعينه يحترق؟»

هزت فيليبا كتفيها معلنة استسلامها: «أعتقد أننا سنتناول العشاء.»

«لقد تناولنا الطعام معاً عدة مرات من قبل. لن يكون الأمر مؤلماً لهذه الدرجة.» قال على نحو فظ: «الفرق أن هنريت لن تكون معنا حتى تخدمنا.»

«كلا.» قالت. كانت تتذكر ما قاله لها في أول يوم من زواجهما عندما كانا معاً وبمفردهما، وأفزعتها هذه الصورة.

يعتقد أنني خائفة منه، فكرت. لكنه مخطىء. إني خائفة من نفسي... خائفة من أن أخون مشاعري. لأنه إذا عرف، سأصبح تحت رحمته إلى الأبد، ولن أقدر على تحمل ذلك. لن أكون الزوجة اللطيفة، التي يدعي زوجها عندما يتغيب عن البيت، أنه في المكتب يعمل حتى ساعة متأخرة. أفضل أن أعيش بعيداً عنه ولا أتحمل تلك الأكذوبة.

رتّبت الطاولة ووضعت بعض السكاكين والملاعق. قطّع آلان الفطيرة التي أعدتها مدام بيتون ثم فتح زجاجة شراب. شعرت بالتوتر من هذه الألفة البسيطة. وجدت نفسها

www.rewity.com/vb

تفكر، لو... وطردت الفكرة من رأسها قبل أن تترسخ في ذهنها. هذا ما كانت تخاف منه، فكرت. الألفة الصادقة في تحضير الطعام معاً. هذا ما هو معنى الزواج الحقيقي. هذا هو الخطر بحد ذاته.

أكلت فيليبا جيداً على الرغم من الصراع النفسي في داخلها. لم يحاول آلان أن يجرها إلى الحديث، وكانت شاكرة لذلك. أنهيا الوجبة بالجبنة والفواكه، وبما تبقى من الخبز.

«قهوة؟» دفع آلان كرسيه إلى الوراء، وأمسك بالابريق.

«هل تجيد تحضير القهوة؟» لم تستطع فيليبا إخفاء دهشتها.

«بالطبع.» قال بحدة: «وستتعجبين أكثر، يا زوجتي، لو عرفت بأنني أجيد الطهي. عندما كنت صغيراً كنت أذهب في رحلات صيد مع والدي. كان يؤمن بالاكتفاء الذاتي.»

«وهل كانت والدتك ترافقكما؟»

ضحك وقال: «كلا. كانت مثلك مهتمة بالرسم والألوان المائية. كانت مجرد تمضية وقت بالنسبة لها، أشك في أن عملها كان فيه سحراً أكثر من الموهبة، لكن والدي كان يجده رائعاً. لقد أطّر كل أعمالها، وعلّقها في بيتنا في فونتانبلو.»

كادت أن تقول: «أتمنى أن أراها، يوماً ما.» لكنها توقفت في الوقت المناسب.

تساءلت عن شكل هذا البيت، وبيوت آلان الأخرى أيضاً. لم يقترح عليها قط زيارة احدها، فكرت، وهذا يؤكد عدم أهميتها في حياته.

«هل عاش أهلك في فونتانبلو؟»

هز رأسه ايجاباً: «طوال حياتهما معاً. لقد كان بمثابة بيت العائلة.» كان في صوته حنين، وكأنه يستدعي ذكريات الماضي الجميلة، فكرت وخفق قلبها.

«يبدو أنهما كانا سعيدين معاً.»

«نعم، أعتقد ذلك، على الرغم من كل شيء.» لاحظ نظرتها المتسائلة وهز كتفيه مستطرداً: «كان زواجهما مدبراً أيضاً. واجها الكثير من المتاعب في بداية زواجهما. لكن من ليس عنده متاعب؟» أضاف بسخرية.

«نعم.» قالت ثم دفعت كرسيها إلى الوراء. «لا أعتقد أنني سأشرب القهوة، سأصاب بالأرق إذا فعلت ويجب أن أبدأ العمل باكراً، غداً.»

«لكنك نسيت شيئاً آخر. عليك أن ترشديني إلى المكان الذي سأنام فيه.» قال آلان برقة.

«أوه، نعم.» عضت شفتها. «هناك غرفتان واحدة فقط مجهزة. تجلب مدام بيتون كل الشراشف من المزرعة و...»

«غرفة واحدة.» ابتسم آلان. «مسكين فابريس! إني أفهم سبب خيبته ورغبته في الإنتقام مني.»

«لقد ارتكب غلطة فادحة وأنت كذلك.» قالت فيليبا باختصار: «لم يكن في نيتي أبداً أن أتركه ينام في مخدعي.»

«أعتقد أنه كان عليك في هذه البقعة النائية، يا عزيزتي، أن تكوني أكثر حكمة وتفهمي نواياه.» كان صوته قاسياً. «ألم يخطر في بالك أنه من المحتمل أن تجدي نفسك في وضع لن تقدري على معالجته؟»

www.rewity.com/.ib

توردت وجنتاها ودافعت: «لكنني أوضحت له الأمر جيداً. كان يبدو دائماً... محترماً.» قالت بضعف.

«هذا الماجور الذي شق إطارات سيارتي.» لاحت ابتسامة غاضبة. «كان سينقض عليك قبل أن تتلي حتى صلواتك، أيتها الغبية الصغيرة.»

رفعت ذقنها وقالت: «كنت يائسة، وعندما أيأس أتصرف دائماً بغباء... كما يجب أن تعرف ذلك.»

«وزواجنا مثال على ذلك.» فاجأتها المرارة في صوته.

«الأفضل أن ترشديني إلى الغرفة، يا مدام. لدي دثار سميك في سيارتي. سأستعمله لهذه الليلة فقط.»

هزت رأسها بصمت، ثم قادته إلى الطابق العلوي. كان باب غرفتها مفتوحاً، واستطاع آلان أن يرى السرير العريض والنظيف، لكنه لم يعلّق.

وجدت نفسها تتساءل فجأة، وبجنون كيف ستتصرف لو أن آلان أخذها بين ذراعيه، ودفعها بالقوة إلى الغرفة وإلى السرير الناعم...

فتحت باب الغرفة الصغيرة ثم قالت وهي تلهث: «ستنام هنا. والحمام في آخر الممر. أتمنى أن تجدها مريحة.»

«هذا صعب جداً. بون سوار، يا فيليبا.»

ردت له تحية المساء ثم أسرعت إلى غرفتها. فكرت في أن تقفل الباب بالمفتاح، ولكنه صدىء، وهي لا تريد على كل حال أن تبالغ في تصرفها.

سمعت خطواته على السلالم، وهو يعود بعد فترة قصيرة، ربما مع دثاره بعدما خيم الهدوء. نزعت عنها ثيابها بسرعة، استحمت، ثم زحفت تحت غطاء السرير المخملي.

لكن النوم جفاها. فكرت وهي تحدق في الظلمة، لم تستطع النوم، ولن يكون الأمر سهلاً إذا كانت ستستمر وتتظاهر بعدم الإهتمام... وأن زواجهما كان غلطة هي مستعدة لإصلاحها. ومع ذلك يجب أن تتقبل الوضع.

لأن آخر شيء تريده، هو أن تمنح نفسها له وتدع آلان يعرف بأنها تحبه.

طلاق هادىء، فكرت. هذا ما تحتاجه. جرح يمكن أن يلتئم... في آخر الأمر.

بعد بضع ساعات فقط، فكرت. بضع ساعات أخرى فقط. كررت هذه الكلمات في رأسها مراراً، كأنها صلاة الألم الخاصة، حتى نامت أخيراً.

كانت الشمس تزحف من خلال الستائر عندما فتحت عينيها في الصباح التالي. نظرت إلى ساعتها ثم انتصبت في جلستها. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة.

ارتدت ثيابها بسرعة وأسرعت متجهة نحو السلم واختلست نظرة إلى غرفة آلان. لم يكن له أي أثر. ربما رحل، فكرت وهي تترنح في مشيتها.

كانت الغرف في الطابق الأرضي فارغة أيضاً لكنها اشتمت من هناك رائحة القهوة وشاهدت طبقاً وصحناً في المغسلة، من الأرجح أنه تناول فطوره.

كانت تعد لنفسها بعض القهوة، عندما سمعت صوت محرك السيارة. نظرت من خلال النافذة التي فوق المغسلة، فرأت شاحنة كبيرة تجر سيارة آلان وراءها.

ظهر آلان بعد لحظات قليلة، وهو يمشي ببطء ورأسه منحنٍ.

www.rewity.com/vb

«ماذا حدث؟» أسرعت لمواجهته عندما دخل من الباب «لماذا أخذوا سيارتك؟ ألم تجد عندهم الإطارات المناسبة؟»

«الكثير.» قال: «هذه ليست المشكلة. لقد عبث صديقك فابريس بالمحرك أيضاً. يعتقدون أنه بحاجة إلى قطعة غيار جديدة. وسيتطلب ذلك بعض الوقت. ربما يوماً أو يومين.»

«كلا!» ضربت كفها على اللوح الخشبي وهي تشعر بالاحباط. «هذا لا يمكن أن يحصل أبداً!»

«إني أؤكد لك أنه حصل.» قال آلان بحدة: «لست الوحيد المنزعجة من ذلك، صدقيني.»

«لكنك لست بحاجة إلى الانتظار حتى تصلح سيارتك. بإمكانك أن تستأجر سيارة...»

«سيارتي مهمة لي كثيراً.» قال على نحو مقتضب: «أفضل أن أبقى هنا حتى أراقب عملهم.»

«لكنك وعدتني بأن تذهب. لا يمكنك أن تبقى هنا!» لاحظت الذعر الذي بدا في صوتها، وحاولت أن تضحك: «أعني أنا بحاجة للبقاء بمفردي. أخبرتك بذلك.»

«رغم ذلك، الوحدة التامة لم تكن جزءاً من خطتك الأساسية.» كان وجهه خالياً من أي تعبير. «هل اعتقدت أنك كنت ستقدرين على طرد فابريس دي تيري بهذه السهولة؟»

«ربما لا.» اعترفت عابسة. «لكنه كان سيفيدني.» رمقها بنظرة ساخرة وتوردت وجنتاها من الغضب. «كلا، ليس بتلك الطريقة. كان سيصبح عارض.»

كان صوته قوياً: «هل تعنين بثيابه أم من دون ثيابه؟»

زمت فيليبا شفتيها. «في الواقع، الحالتين، لكن...»

«رائع.» قال آلان بلطف: «هذه القصة تتحسن أكثر وأكثر.»

«هذه ليست قصة. أنا بحاجة إلى أن أعمل على لوحة طبيعية ـ أوامر زاك ـ ولذلك أحتاج إلى عارض. والذي سأضطر الآن أن أجلب واحداً بالأجرة.» وجهت إليه نظرة محرقة. «العرض ليس بشيء فاسق بالنسبة للرسام، جسد الانسان تركيب من الظلمة والنور... المسطحات والزوايا.»

«أتساءل إذا كان دي تييري سيأخذها من هذا المنطلق.» أردف آلان بنفور: «ربما كان سيوافق معي على أن الفتاة هي منعة لكل الحواس وليس فقط العين.»

«أنا متأكدة من أن هذه وجهة نظرك.» ردت فيليبا بحدة. «لكن تأكد أنه ما كان سيجد فتيات عاريات هنا. وعلى كل حال أنت لست فناناً.»

ضحك: «إني أوافق مع أبي على أن فناناً واحداً في العائلة يكفي. سأذهب إلى المزرعة لأبحث عن سرير مناسب. لا أنوي أن أقضي ليلة أخرى تحت سجادة السيارة.»

راقبته فيليبا، وهو يعبر الساحة إلى البوابة الخارجية، وهي تسكب لنفسها بعض القهوة. تنهدت. كان وسيماً، فكرت بحزن.

لماذا لم يتقبل موقفها وبقي في باريس، مكانه المناسب؟ لماذا لحق بها إلى هنا، يعذبها، يلهيها... ويهينها بكلامه ويؤكد لها استمرارية اتفاقهما؟ سألت نفسها بتوتر. كل يوم يفرض عليها أن تبقى معه تحت سقف واحد، كان بمثابة جرح جديد.

www.rewity.com/vb

يبدو أن العمل، هو الأمر الوحيدة الذي سيريح أعصابها المتوتر.

عندما انتهت من تناول فطورها صعدت إلى الطابق العلوي. هذا البيت استأجره الفنانون بانتظام من قبل، وقد استعملوه بمثابة محترف، ولذلك كانت الغرفة الكبيرة فارغة تماماً.

تجولت فيليبا في المكان حتى وجدت طاولة صغيرة، وضعت عليها قماشاً أصفر قبل أن تصنع أدوات رسمها. أحضرت من المطبخ إبريقاً وبعض الأقداح وزجاجة شراب وسلة مليئة بالفاكهة والخضر. تطلب منها بعض الوقت حتى استطاعت أن تضع كل هذه الأشياء في أماكنها الملائمة.

كانت تتفحص نتيجة عملها عن بعد، عندما صعد آلان السلالم الخشبية.

«لم توافق مدام بيتون على استضافتي عندها.» قال بعبث: «اندهشت عندما سمعت أن هناك أكثر من سرير واحد سيُستعمل. إنها إنسانة رومانطيقية، مع أنها أصرت على مناداتي بالسيد دي تيبري.»

توردت وجنتاها: «نعم... حسناً، لقد اتصل بها فابريس وأعتقد أنها تفكر...»

«إن ما تفكر فيه واضح جداً، لقد طُلب منها أن تحضر غرفة واحدة.»

ازداد تورد خديها. «لم أفعل ذلك.» قالت على نحو حاسم: «لكن لحسن الحظ، لم يعد هذا مهماً.»

حولت نظرها ثانية إلى الطاولة بتعمد ثم هزت رأسها: «هناك شيء ناقص.»

وقف آلان إلى جانبها. «الإرتفاع.» قال بعد لحظة: «لماذا لا تستعملين الزجاجة كشمعدان؟»

«أجل، أنت على حق.» قالت، وهي تشعر بالانزعاج لأنه استطاع أن يلاحظ ذلك بوضوح، مع أنها تفحصته جيداً. لم تكن تركز، فكرت: «يجب أن يكون هناك بعض من الشمع في المطبخ.»

نزلت السلالم وهي مدركة أنه يتبعها، عبرت الباب المزدوج إلى الجزء الرئيسي من البيت.

وجدت هناك حزمة على طاولة المطبخ. فاقترب آلان منها وقال: «لو كنت في مكان فابريس لما قبلت بغير هذا الأرنب لعشاء الليلة.»

«يا للسماء!» حاولت فيليبا أن تتكلم بهدوء، وهي تأخذ بعض الشموع من درج الخزانة.

«ليس لدي أي فكرة عما سأفعله بأرنب.»

«لكن أنا لدي.» قال لها آلان: «هل تفضلينه مع حساء البصل والعشب، أم مع الخردل فقط؟»

«مع البصل والعشب، أعتقد.» قالت بضعف.

«حسناً.» قال بنشاط: «سأناديك عندما أنتهي من إعداده.»

«لا تزعج نفسك...» بدأت الكلام، لكنه قاطعها.

«هذا من دواعي سروري، يا حياتي.» كان في ابتسامته مسحة من السخرية. «تعويض بسيط، ربما لأنني جعلتك تعانين من حضوري المزعج.»

يا إلهي، فكرت. لو أنه يعرف... قالت بضعف: «شكراً لك.» وأسرعت إلى المحترف.

www.rewity.com/vb

تدربت كثيراً على موضوعها. حاولت أن تركز، وعندما جاءت فترة ما بعد الظهر، لم تكن راضية أبداً من عملها. بدا رسمها متكلفاً... وعشوائياً، فكرت بتململ. لكنها بدأت العمل، على الأقل.

كانت تنبعث من المطبخ رائحة طعام شهية، فركت أنفها بإعجاب، وهي تتوجه إلى هناك.

كان آلان جالساً إلى الطاولة يُقطع الجزر إلى شرائح. نظر إليها وسألها: «هل انتهيت لهذا اليوم؟»

«أعتقد ذلك.» جلست في مواجهته وراقبته: «هل كنت تحضر الطعام طيلة فترة ما بعد الظهر؟»

«على الإطلاق. تجولت في القرية قليلاً، ثم لعبت البلياردو مع بعض سكان المنطقة.»

حملقت فيليبا فيه. «ألم تشعر بالملل؟» رفع حاجبيه. «أعني أنها مختلفة عن نمط حياتك. لا بد أنك تشعر وكأنك منعزل عن عملك... وعن كل شيء.»

«أنت لا تعتقدين أن باستطاعتي الاسترخاء؟»

«ليس تماماً.» قالت ببطء: «لكنك تبدو دائماً مليئاً بالقوة والنشاط. اعتقدت أنك ستجد الحياة هنا... مخيبة.»

بدا مندهشاً. «إذا كنت أشعر بالخيبة، تأكدي أن لا علاقة لذلك بالمكان، صدقيني.»

لاحظت فيليبا بغيظ أن ليس لديها الكثير لتقوله.

كان الأرنب شهياً، خفيفاً وله نكهة خاصة مميزة مرفقاً ببطاطس صغيرة وجزر مغمس بالزبدة.

«ما رأيك ببعض الجبنة؟» راقبها آلان وهي تلتهم الحساء مع قطعة خبز.

هزت رأسها وقالت: «لا أستطيع. أنت طاهٍ ماهر حقاً.» ترددت ثم أضافت: «أنت إنسان مدهش أحياناً، يا آلان.»

«هل تعتقدين ذلك، يا حياتي؟» كان صوته جافاً. «لقد اعتقدت ان بإمكانك أن تتنبأي بكل تصرفاتي.»

«كلا.» عضت فيليبا شفتها. «لم أتوقع أبداً أنك ستتبعني إلى هنا.»

«هل اعتقدت أنني كنت سأتخلى عنك بهذه البساطة لنوايا مسيو دي تيبيري، المشكوك فيها؟» سأل وأضاف: «كلا يا فيليبا، لقد أخبرتك، إذا كنت تتذكرين، بأن علينا أن نتحدث بجدية، أنت وأنا.»

«نعم، الأفضل مناقشة الموضوع من خلال المحامين.» تقلص حلقها.

خيم صمت، ثم أضاف بلطف: «بالطبع... إذا كان هذا ما تفضلين.»

«أعتقد ذلك. علينا أن نكون واقعيين على كل حال.»

«نعم.» نهض عن كرسيه ثم بدأ بتنظيف الطاولة.

«دعني أقوم بذلك.» وقفت فيليبا وقالت: «ليس من العدل أن تقوم بكل شيء.»

«أنت من أنصار العدالة، أليس كذلك، يا زوجتي؟ أنت تلتزمين بالقانون على نحو صارم في كل الظروف. لا تفسحين المجال لأي مفاوضات.» كان وجهه متجهماً عندما نظر إليها.

«إني لا أفهم كلامك.» تلعثمت في كلامها.

هز آلان كتفيه. «لا يهم.» توقف برهة. «سأذهب إلى نادي القرية لبعض الوقت، إذا كنت لا تحتاجين إلى

www.rewity.com/vb

مساعدتي. سترتاحين من رفقتي لساعة أو لساعتين.»

«شكراً لك. أعتقد أن ليس لديك أدنى فكرة متى ستصبح سيارتك جاهزة؟»

تصلب وجهه وأجاب: «ليس بعد. ربما ستأخذ بعض الوقت.»

«يا إلهي.» قالت بصوت جامد ويداها مثبتان على جانبيها: «أتمنى أن يسرعوا... أن ينتهوا من تصليحها.»

أرجع رأسه إلى الوراء، ونظر إليها: «أنا أيضاً، يا مدام. والله هو شاهدي. ربما بعدها نستطيع أن نعيش بسلام.»

جرحها صوته القاسي. كانت على وشك أن تنطق باسمه، لكنه أغلق الباب وراءه بعنف وذهب.

الفصل العاشر

لم تنم فيليبا تلك الليلة جيداً. كانت تتقلب طوال الوقت على فراشها بتململ، تنتظر عودة آلان، لم تستطع عندما تركها أن تطرد صورة وجهه المتصلب من ذهنها.

كما لم تستطع أن تنسى أيضاً كم كانت متلهفة لأن تركض خلفه... لتطلب منه البقاء.

ماذا كنت سأحرز؟ سألت نفسها، وهي تضغط على الوسادة بشدة، سوى الأسى.

عاد آلان في وقت متأخر من المساء. سمعت صوت الباب يغلق ثم صدى خطواته وهو يرتقي السلالم بهدوء.

تجمدت في مكانها وحملقت في الفراغ وانتظرت بتوتر. اجتاحت جسدها موجة من الخوف و الإثارة عندما توقف أمام غرفتها.

لو فتح الباب ودخل، ماذا ستقول له؟ وماذا ستفعل؟

تضاربت هذه الأسئلة في ذهنها لكنها لم تستطع أن تجد لها جواباً. ثم سمعته أخيراً يسير بعيداً ويفتح باب غرفته ويغلقها. تنفست ببطء مرة ثانية وسمحت لجسدها بالإسترخاء من جديد.

لقد هربت مرة أخرى، لكن ليس منه بل من نفسها. عرفت ذلك وهي تنقلب على بطنها وتدفن وجهها في الوسادة.

يا إلهي، فكرت، يجب أن أكون حذرة...

www.rewity.com

غفت بشكل متقطع، واستيقظت باكراً. ارتدت ثيابها ونزلت بهدوء وهي تحمل صندالها حتى لا توقظ آلان. أعدّت بعض القهوة ثم توجهت إلى المحترف مباشرة.

كان عملها في اليوم السابق غير واعد كما تتذكر. أعادت ترتيب الطاولة مرة ثانية، وأحضرت كرسياً وسكيناً من المطبخ.

أرادت أن تبدو الطاولة أكثر حيوية... وكان شخصاً كان يعمل في اعداد الخضر عليها، لكنه دفع بكرسيه إلى الوراء ونهض لسبب ما.

تراجعت خطوة إلى الوراء وهي تهز رأسها ثم وضعت المسند وأعدت لوحة خلط الألوان. بدأت تعمل بتوتر شديد وكادت ترمي الطلاء على القماش، وهي تحاول أن تتخلص من تشنجها وشكّها يتملكانها.

هذه هي الحياة التي اختارتها، وعليها أن تستغلها إلى أقصى حد. كانت ترفض دور مدام دي كورسي، الذي لعبته سابقاً على نحو غير ملائم وغير ناجح. وعليها أن تتعلم الرسم بكفاءة حتى تكسب رزقها، وهذا ما كانت تنويه دائماً. لكن مرض كيفين وقف عائقاً أمامها، بكل نتائجه المشؤومة.

تنهدت فيليبا بصمت. ربما ستستطيع يوماً ما أن تنسى أنها كانت زوجة آلان دي كورسي. لم يدم زواجهما الشاذ إلا بضعة أشهر، وليس عمراً كاملاً، عليها أن تشفى منه.

هي الآن في المرحلة الأولى من الشفاء، بعد أن تركته. لم يكن يتوجب عليه أن يلحق بها، ويتحدث عن شهر العسل... والأولاد. كان ساخراً... وحقيراً عندما أدرك

أنهما لن يشتركا في زواج حقيقي... أبداً. عندما لم يحبها.

وجدت نفسها تتساءل كيف سيكون الأمر لو أنها وآلان التقيا لتوهما... لو أنها كانت ترسم، وتعطلت سيارته، وتعارفا بطريقة ما.

أوقفت تسلسل أفكارها على نحو مفاجيء. لو كانا غريبين، لكان آلان تجاوزها دون أن يعيرها حتى نظرة واحدة. كانت آخر امرأة في العالم يتوقع أن يقع اختياره عليها. ربما كانت ستكتسب بريقاً سطحياً، لكنها ما زالت في الواقع الفتاة التافهة الشاحبة التي رآها في شقة لاودن في أول لقاء لهما. إنها ليست فقط ساذجة، اعترفت بحزن، بل باردة أيضاً.

«هل أنت بخير؟»

أجفلها وصول آلان الصامت إلى المحترف وكادت أن تصرخ.

«هل كان من الضروري أن تزحف إلى هنا بهذه الطريقة؟»

«دخلت بشكل عادي.» قال بهدوء: «كنت مستغرقة في التفكير لدرجة أنك كنت غافلة عن أي شيء آخر.»

«آه.» تورد وجهها قليلاً، وكانت شاكرة لأنه لم يكن لديه أي فكرة عن فحوى أفكارها.

«لقد أحضرت لك بعض الحساء.» وضع الصينية التي كان يحملها على الطاولة. «لم تتناولي فطورك بعد، ولن تقدري على العمل من دون طعام.»

«إني لا أعمل كثيراً في هذه اللحظة.» شعرت بجوع شديد عندما وقع نظرها على حساء الخضر الشهي.

www.rewity.com/vb

«أين أصبح رسمك؟» وقف آلان إلى جانبها، يتفحص القماش باندهاش.

«ستنجح لو كانت مجرد تمرين دراسي... أو علاج.» ثم أضافت بصوت خافت: «لكنها لا تعبر عما في داخلي... لا شيء مما أريد التعبير عنه. كالعادة... ناقصة.»

«أعتقد أنك تقسين على نفسك.» قال آلان: «ستتحسنين بعد أن تأكلي. الجوع يجعل الإنسان يائساً.»

تقدم من الطاولة وأخذ سكيناً. «وأخيراً وجدتها. لقد بحثت عنها في كل مكان.»

«إني آسفة.» قالت، فيما شعرت بقلبها ينبض بالإثارة وهو إلى جانبها: «آلان، أرجوك أن تبقى في مكانك للحظة... كما أنت؟»

نظر حوله، وارتفع حاجباه: «لماذا؟» ضحك عندما رآها تضع بعض الخطوط العريضة على قماشها. «هل أنت جدية؟»

«أكثر من أي وقت.» كان في صوتها الحاح. «قف هناك فقط ولا تتحرك، أرجوك.»

عرفت الآن لماذا الصورة كانت تبدو فارغة. لأن آلان لم يكن فيها. حاولت أن تستثنيه منها جسدياً، وحاولت بدل ذلك أن تفرض شخصيته وحيويته من دون حضوره الفعلي.

حينما وقف آلان قرب الطاولة، اتضح لها كل شيء.

لكن لاحظت بعد ذلك أنها أرادت أن ترسمه، منذ اللحظة التي رأته فيها في لاودن. كانت هذه أحد الأشياء التي خطرت على بالها. وربما ستكون فرصتها الوحيدة لأن تفعل ذلك.

كانت ترسم وتحتسي، بين الحين والآخر حساءها البارد بناءً على طلبه. جعلته يتخذ أوضاعاً فنية، وقوفاً أحياناً وجلوساً أحياناً أخرى. كان يبدو فرحاً، لكن مرتبكاً بالتأكيد، ومع ذلك استجاب لها.

«اسمحي لي أن أشتري هذه التحفة الفنية بعد أن تنتهي منها.» قال، وهو يقطع الطماطم إلى شرائح صغيرة: «إني أرفض أن يراني زملائي، وموظفو شركة دي كورسي في هذا الوضع الحميم.»

«لا تتحرك... أدر رأسك قليلاً. هذا رائع. والآن، إثبت في مكانك.»

تنهد: «حاضر يا حبيبتي. أنت مجنونة، هل تعرفين ذلك؟»

ربما، فكرت فيليبا. ولكنني أشعر فجأة بالنشاط، وأنا متأكدة بأنني سأنجح.

كان آلان طوال الوقت، حتى في باريس، يجول بينها وبين الصورة التي كانت تحاول أن تنقلها الى لوحة. حاولت كثيراً أن تقاوم وأن تطرده من مخيلتها، لكنها عرفت الآن أن عليها أن ترسمه وتجعله النقطة الأساسية في لوحتها على الأقل.

ربما ستستطيع بهذه الطريقة أن تتخلص منه إلى الأبد.

حاولت العمل بنوع من اليأس على وضع اللمسات الأخيرة، وآلان جالس، ووجهه الداكن مصمم على إنجاح مهمته كما، رأته في الليلة السابقة.

مر الوقت بسرعة، ولم تلاحظ ذلك حتى قال أخيراً: «يا عزيزتي، بعيداً عن هذا التشنج الذي أحاول أن اتحمله من

www.rewity.com/vb

أجل الفن، ما لم أتحرك وبسرعة، لن يكون هناك عشاءٌ.»

«لم أفكر بذلك.» اعترفت بأسف. «كان يجب عليك أن تأخذ بعض الراحة. إني آسفة.»

«لا تعتذري. إني متأكد من أن هذا الشقاء سيفيدني.» وقف وتمطى، وعضت فيليبا على شفتها وهي تراقب حركاته العفوية الرشيقة.

قالت وهي تتلعثم قليلاً: «هل لك أن تجلس لي مرة ثانية غداً... أرجوك؟»

رمقها بنظرة تساؤلية صادقة ثم هز كتفيه. «إذا كانت هذه رغبتك.»

بالتأكيد، فكرت. ربما هذا جنون، ولكن هذا ما أريده أكثر من أي شيء آخر في العالم.

وقفت وهي تحدق إلى المسند بعد أن ذهب. ما زال الوقت باكراً حتى تحكم على اللوحة، ولكنها ستكون شيئاً يبعدها عن حقيقة انهيار زواجهما، شيئاً يذكرها به.

تقلصت معدتها من كثرة الألم. شيء تعذب به نفسها خلال وحدتها الأزلية، فكرت بحزن وهي تنظف الرسم بالفرشاة.

أعد لحم بقر بالخل الأحمر لعشاء تلك الليلة. تحدثا خلال الوجبة بتهذيب كالغرباء، وبعد أن انتهيا، نظفت فيليبا الطاولة وغسلت الأطباق.

عندما عادت إلى الطاولة، كان آلان يسكب لنفسه بعض الشراب، ويحدق في رقعة الشطرنج.

قال: «هل تتفضلين وتشاركينني؟»

«الشراب أو الشطرنج؟»

هز كتفيه. «واحداً... أو الإثنين.»

سحبت فيليبا كرسياً مرحبة بكأس الشراب الذي قدمه لها.

«لم أعرف أنك تلعب الشطرنج.» قالت، ثم توقفت على نحو مفاجيء. يبدو أن كل ما قالته كان يهدف إلى لفت انتباهه لغرابتها التامة، ومع ذلك لم تكن هذه نيتها.

«أنا استمتع بحل مشكلات هذه اللعبة.» قال بعد برهة قصيرة: «بخلاف مشكلات الحياة العادية، فيها قوانين... وأساليب.»

«نعم، أعتقد ذلك، كنت ألعبها مع كيڤين كثيراً.»

ابتسم لها: «أتمنى أن يكون قد علمك جيداً.»

«بشكل كاف، لقد قهرت العديد من الأشخاص. ربما أنت لست بارعاً كما تظن.»

«شادة كلامية!» بدا متحمساً. «ما رأيك لو تجعلها مباراة حامية وذلك بوضع رهان بسيط؟»

عبست فيليبا. «أي نوع من الرهان تقصد؟» سألت بارتياب. لمست إحدى قبضتيه بعد أن بسطهما لها واكتشفت أنه حان على الحجارة السوداء.

«إذا خسرت، سأستمر في تحضير الطعام.»

«وإذا ربحت؟»

«عناق واحد.» تأرجحت يده فوق رقعة الشطرنج وهو ينتظر حركتها الأولى. والتمعت عيناه الخضراوان بالتحدي. «اتفقنا؟ أم، ربما لست واثقة من قدرتك؟»

«عندي ثقة تامة في نفسي.» رفعت فيليبا ذقنها. «أعتقد

www.rewity.com/vb

أنك ستتعب كثيراً من تحضير الطعام قبل أن تعود إلى باريس.»

هز آلان كتفيه من دون مبالاة: «سنرى.» نقل ملكه بقوة إلى الصف الرابع، وكذلك فعلت فيليبا. «هل تنوين أن تحضري والدك فعلاً إلى هنا بعد أن يُسرّح من العيادة؟»

«نعم، أعتقد ذلك. كنا دائماً سعيدين هنا.»

«وهل اعتقدت أن بمقدورك استرداد هذه الذكريات؟» كان اهتمامه مركزاً على رقعة الشطرنج. نقل ملكته إلى مكان الفيل في الصف الثالث.

«ولما لا؟»

هز كتفيه ثانية. «لا أعتقد أن باستطاعتنا أن نرجع الماضي، وإذا كان الأمر ممكناً، ساحذو حذوك.»

«سترجع إلى حياة العزوبية، من دون شك.»

«تماماً.» وضع آلان فيل الملك أمام فيل الملكة في الصف الرابع.

لم تتوقع منه الجواب، وتصلبت مستاءة ويدها تتارجح على فارس الملكة.

«حسناً، ستصبح حراً قريباً.» قالت بنفور: «أو هل كنت تفضل لو أنك لم تتزوجني أبداً؟»

«بالتأكيد، يا عزيزتي.» كان صوته ساخراً. «على كل حال، لم يكن زواجاً بالمعنى الصحيح.»

انتصبت فيليبا في جلستها. « لماذا إذاً لحقت بي؟» سألت، وهي تنقل فارسها إلى الصف الرابع.

«لأنه، مهما كان الوضع غير مقبول، إن صفقتنا ما زالت مستمرة.» قال بهدوء.

«التزمت بها من ناحيتي فقط.»

«حقاً؟» بدا مندهشاً.

«كانت... غلطتك. لقد أفسدت كل شيء، عندما نكثت بوعدك.» أدركت أن كلامها يبدو سخيفاً.

«معك حق.» قال بسخرية: «كنت متوحشاً معك. أجبرتك على مطارحتي الغرام، والقيام بأشياء مقرفة. لكنني كنت غبياً عندما فكرت بأنه بوسعنا أن نجعل زواجنا... أشد ترابطاً. ربما كنت تفضلين أن أحصل على توقيعك، قبل أن اتجرأ على لمسك.»

أخذت فيليبا نفساً عميقاً. «كنت أفضل لو أنك لم تلمسني أبداً.»

«لقد جازفت في ذلك.» قال بلطف.

«أتمنى ألا تتوقع مني أن أعتذر لك لأنني خيبت أملك.»

هز كتفيه غير مبال. «ربما علينا أن نعترف بأننا خيبنا آمال بعضنا البعض.»

«هذا استسلام بالفعل.» عضت فيليبا على شفتها. «ألست خائفاً من أن تشوه سمعتك كحبيب؟» ضحكت. «كلا، بالطبع... كم أنا غبية! هناك البارونة وستساندك بالتأكيد.»

«أوه.» قال آلان برقة: «حبيبتي ماري لور. هل أخبرك عنها؟ وبالتفاصيل أيضاً؟»

التهب وجهها وصرخت: «كلا... هذا غير ضروري، شكراً لك.»

«تبدين وكأنك مهووسة بها، اعتقدت أنك ستجدين الحديث عنها ممتعاً.» نظر إليها، اختلس نظرة إلى رقعة الشطرنج، كان حاجباه مرفوعين. «على أي حال، لقد

www.rewity.com/vb

كنت صريحة معي بالنسبة لفابريس، أليس كذلك؟»

«الأمر مختلف، وأنت تعرف ذلك.»

«حقاً؟» التمعت عيناه الخضراوان.

«نعم.» دفعت فيليبا كرسيها إلى الوراء، ووقفت. «لا أريد أن أسمع عنها، أو عن باقي نسائك. هل تستطيع أن تفهم؟»

«نعم. لكن هناك أشياء أخرى عليك أن تدركيها عني، يا فيليبا.»

«أعرف ما يكفي.» قالت بتوتر: «كنت مجرد بيدق أليس كذلك؟ شيئاً تستعمله ضد عمك، ثم تتخلى عنه في الوقت المناسب. فقط بيدق، ليس للبيدق الحق في «كش» الملك، أليس كذلك؟ وهو ما فعلته تماماً عندما تركتك. وهذا شيء لا تستطيع أن تصفح عنه. ولذلك أنت موجود هنا لتعذبني بهذه الطريقة. حسناً، لقد انتهت لعبتك الآن، وزواجنا أيضاً. وليس بمقدورك أن تفعل شيئاً حيال ذلك.» أضافت بتوتر.

«هل أنت متأكدة؟» ابتسم. «ما زال هناك شيء واحد. وأنا أحب أن أربح. إذاً...» أمسك ملكته. قال برقة: «الملكة البيضاء أخذت الحصان الأسود رقم ٢، يا حبيبتي. وكش ملك، يا عزيزتي.»

أخذت فيليبا نفساً عميقاً، وحولت انتباهها إلى رقعة الشطرنج أمامهما. «لكن ذلك ليس صحيحاً.» بدأت. «لا يمكنك أن...»

«أن أقوم بهذه الحركة، يا عزيزتي. أنا متأكد بأنك سمعت بها.»

بالطبع سمعت بها. فتجنب هذا الخطأ الشائع بين

اللاعبين المبتدئين، كان أول الأشياء التي علمها اياها كيڤين ومع ذلك وقعت به مباشرة.

«آه، لا!» صرخت: «لا أصدق!»

لكن رقعة الشطرنج كانت أمامها، وتشهد على الانتصار المذل والسريع.

«الشطرنج يتطلب تركيزاً، يا جميلتي. هل تريدين الانتقام مني؟ أو أن نبدأ لعبة جديدة... برهان ثانٍ، بالطبع؟»

«كلا، شكراً.» قالت بلطف ونظرت إلى ساعتها. «هزيمة واحدة تكفي. على كل حال، أنا متعبة. الأفضل أن أذهب إلى غرفتي.»

«لحظة.» قال بهدوء: «بعد أن آخذ حقي.»

عضت فيليبا على شفتها. لم يكن يتوجب عليها أن توافق على الرهان، لكنها كانت متأكدة من فوزها، أو على الأقل تنتزع منه التعادل. لكن الآن...»

ابتلعت ريقها. «لم نحدد الوقت تماماً.» بدأت تقول: «سأعانقك عناق الوداع عندما ترحل.»

«إنني مرتبك.» قال بسخرية: «ولكنني أعتقد ان الدين يجب أن يسدد في أسرع وقت ممكن، أليس كذلك؟»

دفع بكرسيه إلى الوراء ووقف.

وقفت فيليبا أيضاً. قالت وهي ترتجف: «الآن، انتظر! لا اعتقد أنك عنيت ذلك.»

«هذا كان تفكيراً طائشاً، يا جميلتي.» اقترب منها وطوقها بذراعيه. تصلب جسدها استعداداً للمقاومة، لكنه أحس بردة فعلها.

قال بهدوء: «محاربتي، يا فيليبا، ليست تصرفاً غير حكيم. إنه ليس سوى عناق، في النهاية.»

www.rewity.com/vb

أغمضت عينيها. فقط عناق، كررت بصمت. فقط عناق. لكن متى كانت آخر مرة أحست فيها بمتعة عناقه؟ كان ذلك منذ وقت طويل.. وكأنه دهر...

كان عناقه رقيقاً وناعماً. داعبها، جسمها بخفة الريش وبشكل مغوٍ وواعد.

هذا ليس عدلاً، تملكت هذه الكلمات تفكيرها. كانت تفضل الإلحاح، أو شيئاً من القوة... شيئاً يشعرها بالامتعاض. ليس هذا... السحر الناعم.

شعرت بالإثارة وهي تحبس أنفاسها. حاولت أن تقول «لا.» لكنها لم تطلق سوى تنهيدة صغيرة.

رفع آلان يده وداعب شعرها حتى جعل خصلاته تلتف حول أصابعه. عانقها ببطء ثانية. لاحظت على الرغم من اضطراب تفكيرها أن بإمكانه أن يمدد هذا الإنتظار... هذه الرغبة... إلى الأبد. لقد تعمد أن يجعلها تسأل وترجو هذه المرة.

هل أجعلك تتوسلين إلي؟ لقد سألها ذلك مرة. شعرت بالذل والخوف. ربما سيطلب منها أن تدفع ثمن ذلك الرفض، وربما سيكلفها الثمن روحها.

ببطء... ثبتها بحيث لم تعد عاجزة في عناقه، لكن واقفة في مواجهته بعيداً قليلاً عنه. التقت أعينهما في استسلام غريب.

سألت عيناه. جاوبت عيناها. تحرك، الغى المسافة التي تفصلهما عن بعض.

توقف، وحدق بالباب وهو يعبس.

«هناك من يطرق على الباب...» قال وكأنه يحدث نفسه.

«سيد دي كورسي! أنا مدام بيتون. لدي رسالة لك.»

تلاشت هذه اللحظات الدافئة بثانية.

رفع آلان حاجبيه ولوى فمه بسخرية: «لا بد أن لديك ملاكاً حارساً، يا زوجتي.»

صعدت فيليبا السلالم بسرعة، وأصابعها ترتجف مع أنها لم تر مدام بيتون، وهي تدخل الغرفة.

«سيد دي كورسي؟» كانت المرأة الطيبة مرتبكة وغاضبة. «لكن كيف ذلك؟ لقد فهمت انك مسيودي ثيبري. عندما تحدثنا على الهاتف كان ذلك الاسم الذي سمعته.»

بعد برهة قصيرة، قال آلان بهدوء: «آسف إذا كان هناك سوء فهم، يا مدام. أنا فعلاً آلان دي كورسي، ولقد تم الحجز بواسطة... شريكي.»

«والآنسة روسكو... أين هي؟»

«سأناديها.» رفع آلان صوته: «فيليبا، انزلي، يا عزيزتي. لدينا زائر.»

نزلت فيليبا السلالم بكسل. لقد ارتجفت كثيراً وكانت مدركة أن شعرها مبعثر، وتنفسها مضطرب.

ولكنها ابتسمت على الرغم من نظرة آلان الساخرة. بون سوار مدام.»

«فيليبا الصغيرة!» بدت مدام بيتون مندهشة. «لقد تغيرت كثيراً، يا صغيرتي! ما كنت سأعرفك». احتضنتها بحنان. «وكيف حال والدك العزيز؟»

«بحال حسنة. اعتقد أنه سينضم إلي قريباً.»

«ينضم إلينا، يا عزيزتي.» صحح آلان بلطف: «ألم يحن الوقت بعد لتخبري مدام بيتون... أننا متزوجان؟»

www.rewity.com

اتسعت عينا مدام بيتون. «أنت متزوجة؟ إذاً هذا شهر عسل، يا صغيرتي.»

نظر آلان نظرة ساخرة باتجاه زوجته. «تقريباً.» قال آلان وهز كتفيه: «إنها... عطلة عمل.»

أصدرت مدام بيتون صوتاً عبّر عن ابتهاج شديد «عمل؟ لكن عندما يتواجد الرجل مع زوجته بمفردهما، عليهما أن يفكرا بالمتعة فقط، أليس كذلك؟ يجب ألا تسمح لها بالعمل. لو كنت مكانها لاختلف الأمر، إني أؤكد لك ذلك.»

«أنت تحرجينني، مدام.» ابتسم لها آلان بعبث. «هل تودين تعزيتي، ربما؟»

«لست بحاجة، بوجود عروس فتية إلى أي تعزية.» تنهدت مدام بيتون بصوت عال: «لو كنت أصغر بعشرين سنة...» دفعته بمرفقها بطريقة وقحة.

«لكنني نسيت مهمتي.» قالت أخيراً وهي ما زالت تهتز من الضحك: «اتصل بي السيد بارتان من المرآب. لقد عاد أخوه من بوردو مع قطعة الغيار. وسيركبها غداً.»

«رائع!» نظر آلان إلى فيليبا. «هذا ما كنا ننتظر سماعه، أليس كذلك، يا عزيزتي؟»

من مكان ما، ميت في داخلها، سمعت فيليبا نفسها تقول: «نعم.»

«هذا حسن.» نظرت مدام بيتون إليهما. «لن أتطفل عليكما بعد الآن.» أضافت بحزم بعد أن رفضت دعوة آلان لتناول القهوة أو الشراب. احتضنت فيليبا ثانية. «كوني سعيدة، يا صغيرتي.» أمرتها وهي تلوح لها بيدها مودعة.

خيم صمت عميق، حطمه آلان أخيراً.

«قلت منذ لحظات إنك تودين الذهاب إلى غرفتك. ربما من الأفضل أن تفعلي ذلك.» كان وجهه خالياً من أي تعبير.

«هل هذا ما تريده؟» لم تصدق أنها قالت ذلك فعلاً. أين كبرياؤها واحترام ذاتها؟

هز كتفيه ثانية. «ما أريده، هو أن أذهب بعيداً من هنا.» قال بجفاء ورمقها بنظرة تهكم.

«في النهاية، لم يكن سوى عناق، يا جميلتي.»

همست: «نعم، بالطبع.» استدارت وابتعدت عنه والدموع تترقرق في عينيها.

www.rewity.com/vb

الفصل الحادي عشر

ساد الظلام كل مكان، يحوم حولها، ويخنقها. وكان أيضاً في داخلها يزيد من آلامها ووحدتها.

فقط عناق. انطبعت الكلمتان في ذهنها بأحرف من نار. هكذا اعتبرها آلان. كانت على وشك أن تمنح نفسها له، ومن دون تحفظ لأول مرة... وبرغم ذلك، هو مصمم على الرحيل غداً من دون أن ينظر إلى الخلف.

كان من غير المجدي أن تُذكّر نفسها بأنها هي التي أرادت رحيله... وألحت عليه بذلك أيضاً. كانت تنوي بمجيئها إلى هنا أن تفصل نفسها عنه نهائياً. وهو مستعد الآن لأن يحقق لها هذه الرغبة.

كان يجب أن يحصل ذلك، قالت لنفهسا بحدة مراراً وتكراراً. لا يمكن لزواجهما أن يستمر وبشروطه هو. وهي غير مستعدة لأن تعيش على هامش حياته. تنتظر حتى يلاحظ وجودها، إذا كان عنده وقت.

وعندما ينفصلان، لن يكون عندها أي شيء تؤنب به نفسها أو تتنكره بخجل.

لم تجد له أي أثر عندما تجرأت أخيراً، ونزلت في الصباح. فكرت للحظة أنه ذهب من دون أن يودعها. ولكنها، بعد أن تفحصت غرفته ووجدت ثيابه، عرفت أنه ما زال هنا. لا بدّ أنه في مونتاسكو يراقب تصليح سيارته.

أخذت قهوتها إلى المحترف واستعدت للعمل. نظرت إلى لوحة آلان طويلاً، ربما كانت سطحية، ولكنها أفضل ما أنجزته. ربما لأنها تنظر إليها بعيني الحب، فكرت بحزن.

سمعت صوت السيارة بعد ساعة. وثب قلبها من مكانه وبدأت تعدل من إشراقة اللوحة بتركيز عنيف. وأخيراً صعد ووقف أمام الباب.

«هل أُصلحت السيارة؟» قالت بهدوء.

«تقريباً.»

«أعتقد أنك سترحل الآن.» بدلت مكان المسند.

«بعد قليل.» قال: «أعتقدت أنك تريدينني لجلسة أخرى.»

هزت فيليبا كتفيها. «لا أريد أن أسبب لك أي إزعاج.»

«على الاطلاق.» ومشى إلى جانبها ونظر إلى القماش. «هل ينقصها الكثير؟»

«ليس مع نشاط كهذا.» قالت: «باستطاعتي أن أنهي الباقي من ذاكرتي، إذا اضطررت.» يا إلهي كم ذلك صحيح! «فهمت.» كان وجهه ساخراً. «لم أكن عادلاً معك، يا زوجتي عندما حاولت منعك من متابعة دراستك، لديك موهبة حقيقية. أتمنى أن تطوريها إلى أقصى حد.» كانت ابتسامته ودودة ولكن مؤلمة. «هل يمكن لي أن أشتريها؟»

هزت رأسها: «لا هذه. لأنني استحققت بها لقب رسامة. أنا متأكدة أنك تفهم.»

«لا أعتقد أن التفهم كان له دور كبير في علاقتنا.» قال بشجاعة: «ولكنني أعدك بالمحاولة.» توقف برهة. «ماذا عن آخر جلسة؟ هل تريدينني أن أتعرى لك؟»

تنهدت فيليبا. بدا صوته عالياً في هذا المحترف

www.rewity.com/vb

الهادىء. حاولت أن تبتسم: «أنت... أنت لا تعني ذلك، بالتأكيد؟»

«ولم لا؟ ستكون تجربة جديدة لي... كما لمعظم الرجال... عندما أخلع ثيابي لإمرأة ليست مهتمة سوى بتركيب الضوء والظلمة والمسطحات والزوايا.» نظر إليها نظرة ساخرة: «أليس كذلك، يا حياتي؟»

«حسناً... أجل.»

«بالتأكيد.» كان قلبها يخفق بجنون.

«إذاً، لماذا لا تطلبين مني ذلك؟» توقف لبرهة. «أو أنك لا تجدينني ممتعاً بشكل كاف؟ ربما تشعرين أنك تعرفينني جيداً؟»

رفعت القماش عن المسند من دون أن تنظر إليه. «الأمر ليس كما تتصوره.»

يا إلهي، فكرت بطريقة هستيرية، لم تعرفه أبداً. ليس بتلك الطريقة.

استطاعت أن تطلق شبح ضحكة: «إنك... تفاجئني. لكن إذا كان عرضك جدياً، يا آلان، علي عندئذٍ أن أقوم ببعض الرسومات التمهيدية لك. إنني بحاجة إلى التمرين.» أضافت بضعف.

«يبدو أننا نفاجىء بعضنا البعض طوال الوقت.» نظر حوله. «أعتقد انك تفضلين أن نبدّل المكان؟»

أبعدا الطاولة قليلاً ثم رتبا منصة بديلة عن العلب وبعض الستائر الذهبية، اكتشفتها فيليبا في حقيبتها في اليوم السابق. أمضت بعض الوقت وهي تثني القماش المطرز حتى تجعله مناسباً وهي تشعر كأنها في عالم من الأوهام.

يا إلهي، فكرت، من غير المعقول أن أفعل ذلك أو أن أسمح به. لأنني لا أستطيع أن أكون موضوعية، وأن أعتبر ذلك تمريناً مفيداً.

استدارت بعيداً، وأخذت لوح الرسم بيدين مرتعشتين. لم يسبق لها أن رأت آلان بوضع كهذا. ليس تماماً. كانت محرجة جداً وغاضبة في أول لقاء لهما، ومنذ ذلك الحين، أصبحت مناوشاتهما في الظلمة. ستكون هذه لحظة صدق بالنسبة لها.

وأدركت أن هذه اللحظة قد حانت عندما قال: «إنني جاهز.»

استدارت ببطء لتواجهه. كان رائعاً. لا يمكن أن تصفه بكلمة أخرى، يداه على وركيه، ورأسه مرتد قليلا. تحمّل تفحصها المدهش والمفرط.

«هل ستبدئين برسمي، يا جميلتي، أم تضعيني في ذاكرتك؟»

بدأت بوجه متورد: «آه، اجلس من فضلك... بشكل جانبي. اخفض كتفك. لا، هذا كثير.»

«الأفضل لو ترشديني بنفسك.»

ترددت لحظة ثم اقتربت منه، تضع يديها على كتفيه الدافئتين، وتعدّل جلسته بشكل ملائم، تستمتع بنعومة بشرته، وبقوة عضلات ظهره وذراعيه.

قالت: «أخبرني هذه المرة عندما تشعر بالتعب أو... بالبرد.»

«أو حتى بالدفء.» قال على نحو مقتضب: «هل تعرفين شيئاً، يا عزيزتي؟ أعتقد أن هذه هي أول مرة تلمسينني بها بملء إرادتك.»

www.rewity.com/vb

انتزعت فيليبا يديها بسرعة: «تذكر وضعك، أرجوك.» قالت ثم عادت إلى لوح الرسم.

كانت بدايتها سيئة، وراحت تطرح ورقة وراء ورقة.

«هل من خطب؟» سأل آلان أخيراً: «تبدين منزعجة، ربما من الأفضل أن أرتدي ثيابي، وأجد لك إناء زهور.»

عضت على شفتها: «كلا، شكراً. ربما كان وضعك خاطئاً.»

جلس آلان وهو يهز بكتفيه. «يمكن معالجة ذلك بسهولة.» أسند رأسه على مرفقه وثنى قدماً واحدة. «هل هذا أفضل؟»

«نعم.» اقرت مكرهة. بدا مسترخياً تماماً، وكأنه كان يمارس العرض طوال حياته.

أتمنى لو أكون بهذه الجرأة، فكرت.

حاولت أن تتظاهر بعدم الاكتراث وهي تتفحصه وتلاحظ خطوط جسده المتناسقة.

في الوقت نفسه، لاحظت أن هناك شيئاً مميزاً بوضعه... شيئاً توقعياً وجارحاً. كان هذا بادياً في ابتسامته، وعينيه. كانت مثيرة... وغامضة. لم ترتبك ولم تتلاعب بالخطوط. هذه المرة كانت يداها وعيناها تعملان بتناسق تام. عليها أن تنجح، فكرت بحماس. لا يمكنها أن تخسر. ليس الآن.

«هل يمكنني أن آخذ قسطاً من الراحة؟» افترض موافقتها. جلس آلان وأمسك رداءه.

وضعت فيليبا قلمها، وأحست بتشنج عضلات كتفها وعنقها.

«هل تسمحين لي برؤيتها؟» وقف آلان إلى جانبها.

«عندما تنتهي.» قالت بصوت أجش، وضع يديه على كتفيها وبدت لمسته لاذعة، وحافلة بذكريات الليلة السابقة، فكرت بتململ.

«حان وقت استراحتك أيضاً.» داعبت أصابعه كتفيها. «جسمك بحاجة إلى الإسترخاء.»

بدأ بتدليك عضلات عنقها وكتفيها بلطف أولاً ثم بقوة.

حاولت أن تنسحب. «إنني بخير، حقاً.»

«كفي عن ذلك.» قال: «دعيني أقوم بذلك.»

استسلمت لخدماته بتنهيدة عميقة. كانت لمسته سحرية، حميمة، وموضوعية بطريقة غريبة.

لكن كانت حركاته العنيفة، تخلق توتراً وتشنجاً في كل مكان من جسمها.

«استرخي.» أمرها بلطف.

كيف باستطاعتها ذلك، وها هي تتجاوب وتنتعش مرة ثانية تحت لمسته.

شعرت بأصابعه تنزلق ببطء على كتفيها.

«كلا.» حاولت أن تبعد يديه.

«اهدئي.» قال: «ثقي بي.» تراقصت شرارات صغيرة وراء أجفانها المطبقة.

ثقي بي، هذا ما قاله، ولكن الخيانة كانت مرة ثانية تصدر من ذاتها، من الحاجة إليه.

ثم فجأةً انتهى كل شيء. توقفت يداه الدافئتان عن وخزها وتحرك بنشاط. أمسك لوح رسمها، والقلم وناولهما لها.

«هل نتابع؟»

حدقت فيليبا باللوحة حتى أصبحت الخطوط تتراقص

www.rewity.com/vb

أمامها. كانت ترتجف لدرجة أنها لم تستطع أن تمسك بالقلم، وكان فمها جافاً. كانت تلتهب، وكأنها مصابة بحمى. توسع التوق الذي في داخلها إلى ألم وجوع، لا يمكن إنكارهما بعد الآن.

أوقعت لوح الرسم على الأرض ووقفت، واقتربت منه.

لم يتكلم آلان أو يتحرك، لكنها سمعت صوت أنفاسه وهو يراقبها.

جثت على ركبتيها إلى جانبه. «آلان؟» كانت ترتجف. «إني أتوسل إليك!»

هل أجعلك تتوسلين إليّ؟ لقد أجابت الآن على سؤاله باستسلام تام.

«يا إلهي!» قال بحدة. حملها عن الأرض وأجلسها على المنضدة.

بدت عيناها واسعتين وغير واضحتين، وهي تنظر إليه وكل عصب فيها يساوق مع هذا السحر الجديد والخطير.

كانت حواسها تضعف، وتغرق في بهجة متموجة ودافئة حملتها إلى أرض الأحلام.

كانت راضية من النتيجة ومن نفسها. لقد استسلمت له أخيراً. لكن أحست بالبهجة لأول مرة.

فتحت فيليبا جفنيها، ووجدت نفسها مستلقية على منضدة ذهبية. شعرت للحظة وكأنها فاقدة الحس، وأنها كانت نائمة تحلم. عندما اصطدمت بالواقع ورأت حقيقة عالمها الذهبي، بدأت تتذكر...

كانت شمس فترة ما بعد الظهر تتدفق من خلال نوافذ المحترف تنير كل زاوية، وكل شق بضوء دافىء.

كانت فيليبا ممددة على الأرض يلفها شرشف ذهبي مطرز.

جلست ببطء، ودفعت شعرها بعيداً عن عينيها تستوعب، تستكشف ما حولها.

بدأ احساسها بالكسل يتلاشى، أين آلان؟ تساءلت.

أرادته بقربها عندما تستيقظ. أرادت ذراعيه حولها.

ربما أتعبته. فكرت وهي تشعر بالذنب والابتهاج. لا تعرف كم من الوقت مرّ.

لم تتصور أبداً حتى في أسوأ أحلامها، أن بإمكانها أن تصل إلى هذا العمق.

لا بد أن آلان قد ذهب ليجد مكاناً أكثر راحة لينام.

كان لوح الرسم مرمياً على الأرض، التقطته فيليبا ونظرت إليه مبتسمة.

لن أنهي هذا، فكرت. سوف أحفظه في مكان ما حتى يذكرني دائماً بهذا اليوم، بداية حياتي الباقية مع آلان.

حملت اللوح بين يديها، ونظرت نظرة أخيرة إلى المحترف قبل أن تذهب إلى الطابق الأرضي.

توقعت أن تجده في الغرفة، ورائحة قهوته منتشرة في كل مكان. لكن الغرفة كانت فارغة. لم يكن هناك أي صوت في البيت. في الواقع لا أثر لأي حياة. إذاً لا بدّ أنه نائم.

وضعت فيليبا لوح الرسم على الأرض وصعدت ثانية. دفعت باب غرفة آلان ووقفت للحظة، تحاول أن تستوعب ما رأته.

كانت الغرفة مهجورة، فارغة، والسرير عارياً ومطوياً

www.rewity.com/vb

بترتيب. أمسكت عضادة الباب بطريقة آلمت أصابعها من كثرة الشد.

سمعت صوتها يرتجف ويقول: «لا... يا إلهي، أرجوك... لا.»

لكن لا جدوى من الانكار. لقد ذهب آلان من دون أي شك... كما وعدها أن يفعل. كل ما حدث بينهما. كل الحاجات اللاهثة والملحة والتي لم تعرف أي حدود، كل هذه البهجة المخيفة والمربكة لم تؤثر على قراره.

نزلت السلالم، وفتحت الباب بعنف، لم تجد أي أثر لسيارته، أحست فجأة بدوار وهي تجثو في المدخل. بدا دفء الشمس على وجهها، وكأنه يسخر منها الآن.

أرادت أن تبكي، لكن لم تسعفها الدموع. كيف بإمكانه أن يرحل من دون أن يكلمها، حتى كلمة واحدة. نعم، لقد اتفقا على الانفصال، لكن كان ذلك من حياة ماضية. ألم يلاحظ كم تغيرت؟ وكيف تشعر الآن؟

الحقيقة المرفوضة واجهتها... لقد لاحظ بالتأكيد، لكنه لم يبالِ. ربما هو معتاد على هذا النوع من التجاوب مع نسائه. الحب بالنسبة له شيء فارغ. كما أفهمها مراراً، لقد امتلكها، هذا كل ما في الأمر.

لقد استمتع أيضاً بانتصاره، فكرت بحزن. استمتع بانهيارها. دمر كل مقاومتها، وحولها إلى حيوان صغير خانع.

أحب أن أربح، أخبرها بذلك ليلة البارحة. وقفت ومشت إلى الطاولة، هذا ما رأته في لوحتها، لكنها لم تلاحظ ذلك من كثرة إثارتها.

لقد تلاعب بها بشكل مثير للشفقة!

أمسكت اللوحة ومزقتها حتى ذُمرت نهائياً. ثم جمعت أجزاءها، ووضعتها في الفرن وراحت تراقبها، والنار تلتهمها.

كانت تحترق هي أيضاً... بتذلل وندم. يا إلهي، ألم تنل ما يكفي من التحذيرات؟

عليها أن ترحل هي أيضاً، لا يمكنها أن تبقى هنا في هذا البيت والذكريات تطوقها من كل مكان. عليها أن تجد بيتاً في مكان آخر، وتنظم حياتها من جديد قبل أن يعود كيڤين.

ستحزم حقائبها، وتتوجه إلى مونتاسكو، وتركب أول قطار إلى أي مكان.

عليها أن ترتب المحترف أولاً، فكرت. لا يمكنها أن تأخذ معها كل معداتها. ستُبقي البعض منها هنا. ربما سترجع يوماً ما لإحضارها.

اقتضى منها بعض الوقت حتى نقلت أغراض الرسم من المحترف إلى الطابق الأرضي. كان المسند ثقيلاً ووجدت صعوبة في حمله، لكنها كانت مسرورة لأنه جعلها تركز على عملها وتنسى آلان قليلاً.

تركت أقمشتها غير المستعملة. وضعت لوح الرسم والطاولة في احدى الزوايا وغطتها بشرشف سميك.

كانت على وشك أن تصعد إلى غرفتها وتوضب ثيابها عندما سمعت سيارة. توقفت وهي تحملق إلى الباب المفتوح.

سيارة آلان، فكرت وعضلات حلقها تتقلص على نحو مؤلم. لا يمكن ذلك. لا بدّ أنها تهذي. لقد ذهب آلان ولن يرجع.

www.rewity.com.ryb

راقبته مذهولة وهو يترجل من السيارة، يعبر ساحة البيت إلى الباب. لم تعرف سبب رجوعه، ولم ترد أن تعرف. لن تستطيع مواجهته... لا تستطيع أن ترى علامة الانتصار في عينيه، أو الشفقة.

حاولت أن تغلق الباب، لكن آلان سبقها ودفعه بكتفه بعنف.

«هل أنت مجنونة؟» سألها، وهي تتراجع عنه بعيداً. نظر حوله ورفع حاجبيه: «لماذا كل أغراضك هنا؟»

«لأنني راحلة. وسأرسل عنواني إلى محاميك بعد أن استقر.»

ردد وراءها ببطء: «محاميك بعد أن استقر... عما تتحدثين بحق السماء؟»

«الطلاق.» رفعت ذقنها. «ألم نتفق على ذلك؟ لا داعي لقول المزيد. لمَ عدت؟»

بقي صامتاً للحظة. بدا وجهه شاحباً ثم ابتسم.

«حسناً، كما تريدين، يا مدام. لن أضيف شيئاً. اعتقدت بأن علينا أن نودع بعضنا البعض. لكنني لن أؤخرك أكثر.»

تجاوزته فيليبا، وصعدت السلالم إلى غرفتها. فتحت الباب ووقفت. كانت الفوضى تعم الغرفة، وكان لصاً قد دخل الغرفة.

ثم، وببطء أدركت سبب هذه الفوضى.

صدمت لأن ما رأته كان ملابس آلان. وجالت بنظرها على قمصانه وكنزاته وحقيبته الجلدية وكل أغراضه المبعثرة على السرير.

سمعت خطواته، واستدارت ببطء. كان وجهه خالياً من أي

تعبير. قال باتزان: «إني آسف لقد تصرفت بوقاحة، ربما من الأفضل أن أحزم أغراضي أولاً.»

كان يهم بالمرور أمامها، فأمسكت فيليبا بذراعه.

سألت بصوت أجش: «لماذا وضعت أغراضك في غرفتي؟»

«هل أنت بحاجة إلى هذا السؤال حقاً؟» وأضاف بصوت قاس: «لأنني فكرت... وتمنيت أن أنام هنا أخيراً.» ضحك. «كم كنت غبياً! لم تعن لك شيئاً الجنة التي تشاركناها منذ ساعة أو ساعتين.» أبعد يدها على كتفه. «لا تلمسيني.»

«آلان، لا، أصغ إليّ.» أمسكت قميصه. «أعتقدت أنك رحلت وأنك هجرتني إلى الأبد. قلت إنك ستفعل ذلك بعد أن تنتهي من تصليح السيارة. لم أرك عندما استيقظت ولم أبحث هنا، لم أعتقد...» أخذت نفساً عميقاً. «كنت تعيسة جداً. أردت الموت. ولهذا كنت راحلة لأنني لا أتحمل أن أبقى هنا بمفردي.»

بدا آلان غير مصدق، لكنه لم يبعدها عنه. «أتركك؟ هل حقاً تعتقدين ذلك؟» هز رأسه. «لا، يا حبيبتي، لم أنوِ ذلك أبداً على الرغم مما قلته. حتى من دون تدخل السيد دي تييري، كنت ساجد عذراً ما لأبقى، وأحقق ما جئت من أجله.»

«ما هو؟» همست.

ابتسم. «أنت، يا زوجتي الصغيرة. جسدك، قلبك وعقلك العنيد.» أمسكت يداه يديها، ولاحظت أنهما يرتجفان. قال: «فيليبا، لا تتظاهري بعد اليوم. أنت تعرفين أنني أحبك. هل تبقين هنا معي ونمضي شهر عسل من جديد؟ ونبدأ زواجنا على أساس الحب والصدق؟»

«آلان، أنت الذي يتظاهر. أنت الذي لا يريدني، بل تريد

www.rewity.com/vb

البارونة. أنا لا أستطيع أن أتحمل ذلك مهما كنت أحبك. هذا كثير عليّ.»

قال بلطف: «لم أكن أبداً مهتماً بماري لور. عندما التقيتها أول مرة وجدتها مغرية، كانت تجربة مثيرة، هذا كل ما في الأمر.»

«كيف يمكنك أن تقول ذلك؟» همست: «لقد رأيتكما معاً، في الحفلة، على الشرفة. أنت تعلم ذلك. كنت تعانقها...»

«كلا.» عانقها وداعب شعرها. «لقد انتهى كل شيء بيننا منذ وقت طويل. هي التي لحقت بي ورمت بنفسها عليّ. وفي تلك اللحظة عرفت...»

«عرفت ماذا؟» كان صوتها ينم عن التهديد.

«إنها استؤجرت مثل صديقك فابريس من قبل عمي.» قال عابساً. نظر إلى عينيها وهز رأسه. «أنت تجدين الأمر صعب التصديق. وأنا كذلك... في البداية. التقيت بتلك المرأة مصادفة. أوضحت لي أنها تريدني. وأنا صدقت كل ما تريدني، هي أن أصدقه.»

ابتسم بسخرية: «أصابتني الصدمة عندما انتشرت الفضيحة. لم أكن الرجل الأول في حياتها. كان كل شيء مرتباً بطريقة ما. قمت ببعض التحريات، واكتشفت أنها غارقة في الديون. كان البارون رجلاً غنياً، لكنه لم يكن كريماً، وكانت هي تحب المغامرة. لا يوجد أي كازينو في جنوبي فرنسا لم ترتده. كانت السلاح المثالي لعمي. لذلك انهيت علاقتي بها...»

توقف قليلاً ثم استطرد: «كان لدي بالطبع العذر المثالي كنت عازماً على الزواج.»

«فهمت.»

«كلا، لم تفهمي أبداً، يا زوجتي.» داعب وجهها بيده. «اوقفت كل علاقاتي منذ تلك الليلة في لاودن حيث رأيتك لأول مرة. ألم تعرفي ذلك.»

«وكيف لي أن أعرف؟ لم أكن جميلة ولم أكن انتمي لعالمك...»

«لست جميلة؟» سألها بنعومة: «أنت لا ترين جيداً بالنسبة لفنانة. وما يعرف العالم الذي أنتمي إليه عن إخلاصك وحبك؟ وجدت نفسي أفكر الليلة بأنك لا تهتمين سوى بوالدك أو أنك ستفكرين يوماً ما بي. لم أكن أصدق ما كان يحدث لي. عندما كنا في الفندق، كنت حائراً أسأل نفسي، ماذا عليّ أن أفعل، إذا لم تأتي إليّ، مع أنني كنت أعرف بأنني سألاحقك أينما ذهبت.»

نظرت إلى عينيه، رأت ألمها، وترددها منعكسين فيهما.

«الآن...»

عندما رفع رأسه التمعت عيناه. «قولي بأنك تحبينني. قولي ذلك حتى تصبحي زوجتي بصدق هذه المرة. قولي بأنك لن تتركيني أبداً مرة ثانية.»

«أنت الذي كنت دائماً ترحل.» احتجت.

«كنت دائماً بمفردي في باريس. وتلك الليالي التي كنت تتغيب فيها عن الشقة...»

«هل اعتقدت أنني كنت سأتحمل البقاء معك، أراقب كرهك لي ونفورك مني كلما حاولت التقرب منك؟ لم ألمك لذلك. كنت أنوي أن أنتظر وأصبر، لكنني تصرفت كالوحش.»

تأوه وأضاف: «لم أتجرأ على لمسك في لندن حتى لا

www.rewity.com/vb

أخيفك، ولكنني نسيت كل شيء في ليلة زواجنا بعد أن أصبحت ملكي. كنت أريدك بجنون، وكنت متأكداً. من انني ساستطيع أن اجعلك تريدينني.» بعد ذلك، كرهت نفسي. لم أنم طوال تلك الليلة. لم تفارق عيناك المجروحتين خيالي ولم أفكر سوى بانني حطمت كل شيء بيننا إلى الأبد. كنت انام في الشركة. كان علي أن أبقى بعيداً لأنني لم أثق بنفسي. أعرف انك كنت غير مستعدة لتحمل أقل اتصال بيننا، لكن كانت هناك أوقات احتجت فيها للمزيد، وكنت خائفاً من أن أصدمك أو أشعرك بالاشمئزاز أو أزيد الحواجز التي بيننا.»

«اعتقدت أنك مع ماري لور. أنت أوحيت لي بذلك.»

«حسناً، تساءلت إذا كان موقفي سيشعرك بالغيرة، وخاصة بعد ان لمست بعض الإهتمام. كان أملي الوحيد، قلت لنفسي. إذا كنت فعلاً لا تبالين كما أوضحت، عندئذٍ فلن تؤثر علاقتي عليك. قررت ان اضللك قليلاً، طبعاً بمساعدة ماري لور، اعني بمحاولاتها لاسترجاعي.»

أحنى رأسه ولثمها بلطف. «هل بإمكانك ان تسامحيني؟ لقد نلت عقابي إذا كنت قد جرحتك عندما فكرت بانك واقعة في حب فابريس. عرفت معنى الغيرة الحقيقي ولاحظت أن استعمالي لماري لور كطعم أوقعني في فخ. أصررت على التحرر مني حتى أتزوجها. وعندما حاولت أن أفسر لك وأخبرك بالحقيقة رفضتِ سماعي.»

«اعتقدت أن هذه رغبتك. الزواج من المرأة التي تحبها.»

«كنت أقصدك. أردت أن يكون زواجنا صادقاً، وأن نمضي بقية حياتنا معاً، على أمل أن تقعي في حبي يوماً

ما.» تنهد. «أعتقدت أننا لو أنجبنا أولاداً، واهتممت بهم، ربما كنت ستحبين في آخر الأمر والدهم. كنت يائساً جداً.»

«أنا كنت يائسة أيضاً.» اعترفت بصوت خفيض: «ولذلك هربت. عندما فكرت اليوم بانك هجرتني، أردت الموت.»

«كنت غارقة في النوم ولم أشأ إزعاجك. فكرت في إنهاء مهمتي قبل أن تلاحظي غيابي.» قال على نحو مقتضب: «اتصلت بباريس وأعلمت زملائي بانني سأذهب في رحلة شهر عسل جديدة، ولا أريد أن يزعجني أحد. أحضرت بعض الطعام أيضاً. عليّ أن أحافظ على قوتي، أنت تفهمين.»

«حقاً؟» نظرت إليه بعبث.

«سيكون عملي كعارض صعباً للغاية، خاصة إذا كنت مجبراً على إقامة علاقة مع الفنانة.»

«يا إلهي.» وضعت يدها على فمها. «لقد تذكرت... لقد مزقتها... صورتك الجميلة.»

«ساتيحُ لك فرصاً أخرى، إذا شئت.» طبع قبلة على أنفها.

«لا أنوي أن أرتدي خلال هذا الأسبوع الكثير من الثياب.»

«فقط؟»

«لا، سنسافر إلى الولايات المتحدة لإحضار والدك وسيبقى معنا في فونتانبلو.»

«أتمنى ألا يصدمه خبر زواجي.» بدت قلقة.

«سيسامحنا عندما يرى سعادتنا.»

«هل سنكون سعيدين؟»

«كثيراً.» عانقها.

«ليس علينا سوى أن ناكل، نشرب، ونستمتع بأشعة الشمس، وببعضنا البعض.»

www.rewity.com

«علي أن أرسم أيضاً.» ذكرته بابتسامة. سوف أنقل أغراضي إلى المحترف مجدداً.

«لاحقاً.» أمسك يدها، وثبتها على أزرار قميصه. «بعد ليلة زواجنا!»

قالت وهي تعبث بشعره بأصابع مرتعشة: «لكنها انتهت منذ عصور.»

«خلاف ذلك. ستبدأ الآن، وستستمر إلى الأبد. هل أنت موافقة؟»

«نعم يا حبيبي.» نظرت فيليبا إلى عيني زوجها بمحبة وثقة.

تمت

www.rewity.com/vb